طلحة بن عُبيد الله رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي لـه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل: طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي، أبو محمد، أحد العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى[1].

لقد كان طلحة رضي الله عنه صاحب النفس الطيبة التي تبحث عن الخير أينما كان، فكان يرى الجاهلية التي يعيشها الناس من حوله، فتشمئز نفسه ويتمزق قلبه حزناً وكمداً على تلك الحالة التي كان يتمنى هو وغيره - من أصحاب المروءة والنفوس

---

(١) «الإصابة» للحافظ ابن حجر(٣/ ٤٣٠).

النقية الصافية التي فطرت على النقاء - أن تتغير وأن تتبدل تلك الجاهلية إلى حياة نظيفة طاهرة يعيش الناس فيها في ظل الحب والوئام والعدل والإخاء.

إنه عملاق من عمالقة الإسلام، وفارس من أشجع الفرسان، ورجل من أولئك الرجال الذين كان لهم أطيب الأثر، وأعظمه في الفتوحات الإسلامية الأولى. والده عبيد الله، كان من أشراف مكة، وأولي الحظوة فيها. وأمه: الصعبة بنت عبد الله، جدها لأمها وهب بن عبد الله، صاحب العطاء والكرم. وبين أبيه وأمه نمت طفولته، وترعرع شبابه، وتعلم على أيديهما الكثير من شئون الحياة والتخلق بالأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة، حتى إذا بلغ مبلغ الرجال تزوج حمنة بنت جحش، أخت زينب زوج النبي ﷺ.

نشأ طلحة رضي الله عنه في مكة، فعرف سهولها ووديانها، وتنقل بين جبالها وقممها، وتعلم الرماية بالسهم، والإصابة بالرمح ولما شب عن الطوق ضاقت به جنبات مكة، فاختار طريق التجارة، ومن هنا عرفته أسواق بصرى والشام، عرفته تاجراً صدوقاً، وخبرته بائعًا سمحًا.

وسارت حياة طلحة رضي الله عنه بين ظعن وإقامة، وحل وترحال، وتوالت الأيام، وكرت الليالي، وهي لا تخرجه عن مزاولة التجارة، هذا العمل الشاق الذي رضيه لنفسه، واختاره لحياته.

وسرعان ما تحققت تلك الأمنية الغالية، فلقد بزغ نور الإسلام، فأضاء الكون كله في لحظة واحدة، يوم أن نزل جبريل - عليه السلام - على الحبيب ﷺ ومعه النور الذي أضاء الله به القلوب المظلمة، وهدى به النفوس التائهة في دروب الحياة المتشابكة إلى أنوار التوحيد والإيمان.

لقد بُعِثَ محمد ﷺ وآمن برسالته أبو بكر رضي الله عنه فلما سمع طلحة رضي الله عنه هذا الخبر لم يتلكأ ولم يتلعثم، بل إنه مجرد أن دعاه أبو بكر استجاب لنداء الحق فهو يعلم يقينًا أن محمدًا هو الصادق الأمين بلا منازع، وأن أبا بكر هو التاجر الصدوق الذي

لا يمكن أن يجتمع مع الحبيب ﷺ على ضلالة أبدًا.

وذهب طلحة وقلبه ينبض بكل قوة وشوق وحنين للقاء الحبيب ﷺ ليعلنها قوية في وجه الكون كله: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ وعلى الرغم من مكانته بين قومه وثرائه، إلا أنَّه أوذي في سبيل الله، ولكن سرعان ما كشف الله عنه هذا العذاب والابتلاء.

ولما هاجر الحبيب ﷺ إلى المدينة هاجر طلحة رضي الله عنه مع المهاجرين لينعم بصحبة النبي ﷺ بعيدًا عن أعين كفار قريش وسطوتهم.

وها هو الحبيب ﷺ يبشر طلحة رضي الله عنه بأنه سيموت شهيدًا بإذن الله - جل وعلا- فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك، فقال رسول الله ﷺ: «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»، وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم[1].

فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيدًا، وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب ﷺ ظل يبحث عن الشهادة في مظانها، فشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ عدا غزوة بدر. فاتفق أنه غاب عن وقعة بدر في تجارة له بالشام.

وفي يوم أحد كان طلحة كعادته يبحث عن الشهادة التي بشره بها النبي ﷺ. لعل الله أن يكرمه بها في ذلك اليوم.

وفي حين كان الجيش الإسلامي الصغير يسجل مرة أخرى نصرًا ساحقًا على مكة لم يكن أقل روعة من النصر الذي اكتسبه يوم بدر، وقعت من أغلبية فصيلة الرماة غلطة فظيعة قلبت الوضع تمامًا، وأدت إلى إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين، وكادت أن تكون سببًا في مقتل النبي ﷺ وقد تركت أسوأ أثر على سمعتهم، والهيبة التي كانوا يتمتعون بها بعد بدر.

---

(١) أخرجه مسلم(٥٠) كتاب فضائل الصحابة.

لما رأى هؤلاء الرماة أن المسلمين ينتهبون غنائم العدو؛ غلبت عليهم أثارة من حب الدنيا، فقال بعضهم لبعض: الغنيمة، الغنيمة، ظهر أصحابكم، فما تنتظرون؟!.

أما قائدهم عبد الله بن جبير، فقد ذَكَّرَهم أوامر الرسول ﷺ، وقال: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟!.

ولكنّ الأغلبية الساحقة لم تُلق لهذا التذكير بالًا، وقالت: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة[1].

ثم غادر أربعون رجلًا من هؤلاء الرماة مواقعهم من الجبل، والتحقوا بسواد الجيش، ليشاركوه في جمع الغنائم، وهكذا خلت ظهور المسلمين، ولم يبق فيها إلا ابن جبير وتسعة من أصحابه، التزموا مواقفهم، مصممين على البقاء حتى يؤذن لهم أو يبادوا.

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة الذهبية، فاستدار بسرعة خاطفة، حتى وصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، فلم يلبث أن أباد عبد الله بن جبير وأصحابه، ثم انقض على المسلمين من خلفهم، وصاح فرسانه صيحة عرف منها المشركون المنهزمون بالتطور الجديد، فانقلبوا على المسلمين، وأسرعت امرأة منهم - وهي عمرة بنت علقمة الحارثية - فرفعت لواء المشركين المطروح على التراب، فالتف حوله المشركون، ولاثوا به، وتنادى بعضهم بعضاً، حتى اجتمعوا على المسلمين، وثبتوا للقتال، وأحيط المسلمون من الأمام والخلف ووقعوا بين شِقَّي الرحى.

وبينما كانت تلك الطوائف تتلقى أواصر التطويق، تطحن بين شقي رحى المشركين، كان العراك محتدمًا حول رسول الله ﷺ فلما نادى المسلمين: «**هَلُمَّ إليَّ أنا رسول الله**» سمع صوته المشركون وعرفوه، فَكَرُّوا إليه وهاجموه، ومالوا إليه بثقلهم قبل أن يرجع إليه أحد من جيش المسلمين فجرى بين المشركين وبين

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٤٢٦).

هؤلاء النفر التسعة من الصحابة عراك عنيف، ظهرت فيه نوادر الحب والتفاني والبسالة والبطولة. عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه؛ قال: «**من يرَّدهم عنَّا وله الجنة؟**». أو: «**هو رفيقي في الجنة؟**» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل، ثم رهقوه أيضًا فلم يزل كذلك حتى قُتِلَ السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه - أي: القرشيين: «**ما أنصفنا أصحابنا**»[1].

وكان آخر هؤلاء السبعة هو عمارة بن يزيد بن السكن، قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين، وناصر الموحدين على أعداء الدين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد،

ثبت في الصحيحين عن أبي عثمان؛ قال: لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن غير طلحة ابن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص[2].

فأما سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فقد فثل له رسول الله ﷺ كنانته، وقال: «**ارم فداك أبي وأمي**» ويدل على مدى كفاءته أن النبي ﷺ لم يجمع أبويه لأحد غير سعد[3].

وعن جابر رضي الله عنه قال: لما كان يوم أُحد وولَّى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلًا منهم طلحة، فأدركه المشركون فقال النبي ﷺ: «من للقوم؟»

---

(١) أخرجه مسلم(٢/ ١٠٧) باب غزوة أحد.
(٢) أخرجه البخاري(٣٧٢٢)، ومسلم(٤٧/ ٢٤١٤).
(٣) أخرجه البخاري (١/ ٤٠٧) (٢/ ٥٨٠)، ومسلم (٤٢/ ٢٤١٢).

قال طلحة: أنا. قال: «كما أنت» فقال رجل: أنا. قال: «أنت» فقاتل حتى قُتِلَ، ثم التفت، فإذا المشركون، فقال: «من لهم؟» قال طلحة: أنا، قال: «كما أنت» فقال رجل من الأنصار: أنا. قال: «أنت» فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله طلحة فقال: «من للقوم» قال طلحة: أنا. فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه، فقال: حسّ. فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون». ثم رد الله المشركين[1].

وجرح طلحة في تلك الغزوة تسعًا وثلاثين أو خمسًا وثلاثين وشلت أصبعه، أي السبابة والتي تليها[2].

وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة[3].

وعن طلحة رضي الله عنه قال: عقرت يوم أُحد في جميع جسدي حتى في ذكري[4].

وطلحة يوم الشِّعب واسى مُحمدًا .·. لدى ساعة ضاقت عليه وسُدَّت

وقاه بكَفَّيْهِ الرِّماح فقطعت .·. أصابعُهُ تحت الرماح فشُلَّتِ

أما أدب طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه مع النبي ﷺ فيظهر ذلك جليًّا أثناء انسحاب رسول الله ﷺ من أحد؛ قال ابن إسحاق: نهض رسول الله ﷺ إلى الصخرة من

---

(١) رواه الحاكم مختصرا (٣/ ٣٦٩) «معرفة الصحابة»، وله طرق، قال الألباني في «الصحيحة» رقم(٢١٧١) فالحديث حسن بمجموع هذه الطرق. وعند أحمد: فقال له النبي ﷺ: «لو قلت بسم الله لرأيت يبنى لك بها بيت في الجنة وأنت حي في الدنيا». [رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٩٤) وإسناده صحيح».

(٢) البخاري(٧/ ٣٦١).

(٣) «فتح الباري»(٧/ ٣٦١).

(٤) «سير أعلام النبلاء» للذهبي(١/ ٣٩).

الجبل ليعلوها، وكان قد بَدَّنَ[١] وظاهر بين درعين، فلما ذهب لينهض لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله حتى استوى عليها.

لقد أصاب العرج إحدى رجلي طلحة رضي الله عنه أثناء دفاعه عن النبي ﷺ، ولما حمل طلحة النبي ﷺ تكلف استقامة المشي أدبًا مع رسول الله ﷺ، لئلا يشق على النبي ﷺ، فاستوت رجله العرجاء لهذا التكلف، فَشُفِيَ من العرج[٢].

وأما عن دفاعه عن إخوانه وإحسان الظن بهم، فعن مالك بن أبي عامر، قال: جاء رجل إلى طلحة، فقال: أرأيتك هذا اليماني هو أعلم بحديث رسول الله منكم -يعني أبا هريرة - نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم، قال: أما أن قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، فلا أشك، وسأخبرك: إنا كنا أهل بيوت، وكنا إنما نأتي رسول الله غدوة وعشية،وكان مسكينًا لا مال له - أبو هريرة - إنما هو على باب رسول الله، فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع، وهل تجد أحداً فيه خير يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل؟[٣].

فيا ليتنا نعي هذا الدرس جيدًا ونحسن الظن بكل علمائنا، فهم الذين يقفون على كل ثغر من ثغور الإسلام يدافعون عن هذا الدين يبلغون رسالة الحبيب ﷺ إلى الدنيا بأسرها.

ولذا فإن هؤلاء العلماء بمثابة الجهاز المناعي للأمة ضد كل غاشم يريد أن ينال من هذا الدين، ولا تستطيع الأمة بحال من الأحوال أن تحيا بغير هذا الجهاز المناعي، وإلا أتتها الأمراض من كل مكان، ودب فيها الضعف، فاعلموا لأهل العلم قدرهم ومنزلتهم.

وأما عن إنفاقه في سبيل الله، فعن قبيصة بن جابر، قال: صحبت طلحة، فما

---

(١) بَدَّنَ: أي ضعف وأسن.

(٢) «صلاح الأمة» د/ سيد حسين (٥/ ٦٤٠ - ٦٤١).

(٣) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: أخرجه الترمذي، وحسنه هو والحافظ في الفتح.

رأيت أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه[١].

وعن موسى، عن أبي طلحة أنه أتاه مال من حضر موت سبع مئة ألف، فبات ليلته يتململ. فقالت له زوجته: مالك.؟ قال: تفكرت منذ الليلة، فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك فإذا أصبحت، فادع بجفان وقصاع فقسِّمه. فقال لها: رحمك الله، إنك موفقه بنت موفق، وهي أم كلثوم بنت الصِّدِّيق، فلما أصبح، دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى عليّ منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد! أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي. قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[٢].

أما موقفه يوم الجمل فإن طلحة والزبير رضي الله عنهما اعتزلا تلك الحرب فلم يقاتلا، وذلك عندما رأيا عمارًا يقاتل في صفِّ عليّ فتذكرا قول النبي ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»[٣].

وكان طلحة والزبير رضي الله عنهما في جيش معاوية رضي الله عنه الذي قاتل عمارًا رضي الله عنه فخشيا من الخوض في هذا القتال. ومما زاد حماسهما لاعتزال تلك الحرب- قول علي بن أبي طالب للزبير: يا زبير: أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقاتله وأنت له ظالم؟**» قال الزبير: أذكر، ثم مضى الزبير منصرفًا»[٤]. فانسحب طلحة والزبير وقتلا أثناء اعتزالهما لتلك الحرب، فأما الزبير فقد تعقبه رجل اسمه عمرو ابن جرموز فقتله غدرًا.

وعن أبي سبرة، قال: نظر مروان ابن الحكم إلى طلحة بن عبيد الله يوم الجمل، فقال: لا أطلب بثأري بعد اليوم، فرماه بسهم فقتله»[٥].

---

(١) أخرجه ابن سعد(٣/ ١/ ١٥٧)، والطبراني في «الكبير»(١٩٤).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي(١/ ٣٠ - ٣١).
(٣) أخرجه مسلم(٢٩١٥) الفتن - وأحمد(٣/ ٥).
(٤) أخرجه الحاكم(٣/ ٣٦٦) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
(٥) أورده الحافظ في «الإصابة»(٥/ ٢٣٥) وقال: إسناده صحيح.

قال الإمام الذهبي - رحمه الله - قلت: قاتل طلحة في الوزر بمنزلة قاتل عليّ.
وعن عليّ رضي الله عنه قال: بشروا قاتل طلحة بالنار[١].

وعن طلحة بن مطرف: أن عليًّا انتهى إلى طلحة وقد مات، فنزل عن دابته وأجلسه ومسح الغبار عن وجهه ولحيته، وهو يترحم عليه، وقال: يا ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة[٢].

عباد الله: إن الله يحفظ العبد المؤمن بعد موته كما كان يحفظه وهو حي.

وها هو طلحة رضي الله عنه بعد موته بأكثر من ثلاثين سنة يفتحون قبره وينقلونه إلى مكان آخر، وإذا به لم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شفتي لحيته، فعن المثنى بن سعيد، قال: أتى رجل عائشة بنت طلحة، فقال: رأيت طلحة في المنام، فقال: قل لعائشة تحولني من هذا المكان! فإن النَّزَّ - الرطوبة أو الماء - قد آذاني. فركب في حشمها فضربوا عليه بناء واستثاروه قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شقي لحيته، أو قال رأسه، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة. وحكى المسعودي أن عائشة بنته هي التي رأت المنام[٣].

اللهم اجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين، وألحقنا بصالحي الأمة، واجعلنا مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين من أمة محمد أجمعين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعلى سائر الصحابة أجمعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي(١/ ٣٦، ٣٧).
(٢) قال الهيثمي في «المجمع»(٩/ ١٥٠) : رواه الطبراني وإسناده حسن.
(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي(١/ ٤٠).

الزبير بن العوام رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن حواري رسول الله ﷺ المشهود له بالجنة، أول من سل سيفه في سبيل الله، يا لها من مناقب اجتمعت لهذا الصحابي الجليل.

إنه حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة،وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في سبيل الله.. أبو عبد الله رضي الله عنه وهو حدث، له ست عشرة سنة.

وقد ورد أن الزبير كان رجلًا طويلا، إذا ركب خطت رجلاه الأرض، وكان

خفيف اللحية والعارضين[١].

ولقد كان الزبير منذ صغره فارسًا مغوارًا لا يخشى الردى - الموت - أينما كان، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ قط.

وكان يحب النبي ﷺ حبًّا ملك عليه قلبه وجوارحه، فكان يخشى عليه من نسيم الهواء، بل من أدنى من ذلك.

أما عن دفاعه عن النبي ﷺ: ففي يوم من الأيام سرت إشاعة بين الناس أن الرسول ﷺ قُتِلَ فما كان من الزبير إلا أن أخذ سيفه وخرج على الناس كالإعصار المدمر يريد أن يتثبت من الخبر فلقيه الحبيب ﷺ فقال: مالك يا زبير؟ قال: أخبرت أنك أُخِذْتَ قُتِلْتَ - فصلى عليه ودعا له ولسيفه.

وفي رواية: فقال النبي ﷺ مالك؟ قال: أُخبرت أنك أُخذت، قال: فكنت صانعًا ماذا؟، قال: كنت أضربُ به من أخذك. فدعا له ولسيفه[٢].

ولقد كان الزبير يحب الشهادة في سبيل الله، ويبحث عنها في مظانها حتى إنه من حبه للشهادة كان يسمي أولاده بأسماء الشهداء.

أما صبره على الإيذاء في سبيل الله فعلى الرغم من شرفه ونسبه في قومه إلا أنه أخذ حظه من الظلم والتعذيب والاضطهاد، وكان الذي يتولى تعذيبه عمه، قال يتيم عروة: هاجر الزبير وهو ابن ثمان عشرة سنة، وكان عمه يعلقه ويُدَخِّنُ عليه، وهو يقول: لا أرجع إلى الكفر أبدًا[٣].

ولقد هاجر الزبير رضي الله عنه إلى الحبشة الهجرتين - الأولى والثانية - ثم عاد ليشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها.

---

(١) «السير» للإمام الذهبي (١/ ٤١ - ٤٢).

(٢) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٦٠ - ٣٦١).

(٣) قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٥١): رجاله ثقات إلا أنه مرسل. وأخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٠).

ومن تأمل وصف الصحابة رضي الله عنهم لجسد الزبير لعلم كيف كان يقاتل الزبير رضي الله عنه عن عروة قال: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف: إحداهن في عاتقه إن كنت لأُدْخِلُ أصابعي فيها ضُرب ثنتين يوم بدر وواحدة يوم اليرموك[1].

وعن علي بن زيد قال: أخبرني من رأى الزبير وإن في صدره مثل العيون، من الطعن والرمي[2].

أما هجرته إلى الحبشة فلما اشتد إيذاء قريش لأصحاب الحبيب ﷺ أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار النجاشي ذلكم الملك العادل. فكانوا عنده بخير دار مع خير جار. وظلوا على تلك الحالة من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي المُلْك فحزن المسلمون لذلك حزنًا شديدًا وخافوا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم.

وهنا أراد الصحابة رضي الله عنهم أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل - على الجانب الآخر من النيل.

قالت أم سلمة رضي الله عنها:

فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا؛ قالوا: فأنت، وكان من أحدث القوم سنًّا. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، قالت: فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع ثوبه وهو

---

(١) أخرجه البخاري(٧/ ١٠٠). «فضائل الصحابة».

(٢) «صفوة الصفة» (١/ ١٤١).

يقول: ألا أبشروا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه، ومكن له في بلاده[١].

أما جهاده في سبيل الله فلقد بذل الزبير الكثير والكثير في سبيل الله، فلقد جعل نفسه وماله وقفًا لله - عز وجل - فأكرمه الله ورفعه في الدنيا والآخرة.

فها هو الزبير رضي الله عنه كانت عليه عمامة صفراء محتجزًا بها يوم بدر، فعن عروة أنه قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير - أي على هيئته[٢].

فيا لها من منقبة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جـدِّي ابـن عـمَّـةِ أحمـدٍ ووزيـرُه ∴ عند البـلاء وفـارسُ الشقـراء

وغـداة بـدرٍ كـان أول فـارس ∴ شهد الوغى في اللأمة الصفراء

نـزلـت بـسـيـماه المـلائـكُ نُـصرةً ∴ بـالحـوض يـوم تـأَلُّـب الأعـداء

وعن الزبير رضي الله عنه قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعد بن العاص وهو مدجج لا يُرى إلا عيناه، وكان يكنى أبا ذات كرش، فحملت عليه بالعترة فطعنته في عينه فمات. قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه، فكان الجهد أن نزعتها يعني الحربة، فلقد انثنى طرفها[٣].

وقتل الزبير رضي الله عنه يوم بدر عَمَّهُ نوفل بن خويلد بن أسد، وكذا عبيدة بن سعيد ابن العاص.

---

(١) «السيرة» لابن هشام(١/ ٣٧٩).

(٢) ذكره الهيثمي في «المجمع»(٦/ ٨٤) ونسبه إلى الطبراني وقال: مرسل صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه البخاري(٧/ ٣٦٥) المغازي.

وفي يوم أُحد رأى النبي ﷺ رجلًا يقتل المسلمين قتلًا عنيفًا، فقال: «قم إليه يا زبير» فرقى إليه الزبير، حتى إذا علا فوقه اقتحم عليه فاعتنقه، فأقبلا ينحدران حتى وقعا إلى الأرض فوقع الزبير على صدره فقتله»[1].

وكان الزبير من الذين استجابوا لله وللرسول ﷺ، وقد قال رضي الله عنه: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه مرتين في أحد وفي قريظة[2].

وعن هشام عن أبيه، قالت عائشة: يا ابن أختي! كان أبواك - يعني الزبير وأبا بكر - من ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران:١٧٢].

لما انصرف المشركون من أُحد، وأصاب النبي ﷺ وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: من ينتدب لهؤلاء في آثارهم، حتى يعلموا أن بنا قوة، فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم، فانصرفوا، قال تعالى: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[آل عمران:١٧٤]. لم يلقوا عدوًّا[3].

وأما يوم الخندق فقد روى البخاري، ومسلم عن جابر: قال رسول الله ﷺ: «**من يأتينا بخبر بني قريظة؟**» فقال الزبير: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبرهم، ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبي ﷺ: «**لكل نبيٍّ حواري، وحواريَّ الزبير**»[4].

وعن ابن أبي الزناد، قال: ضرب الزبير يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة بالسيف على مغفره، فقطعه إلى القربوس: أي مقدم السرج ومؤخره، فقالوا: ما

---

(١) «تهذيب ابن عساكر»(٥/ ٣٥٨).
(٢) «أسد الغابة»(٢/ ٢٥٠).
(٣) أخرجه البخاري(٤٠٧٧)، ومسلم(٢٤١٨) الفضائل.
٤) أخرجه البخاري(٣٧١٩)، ومسلم(٢٤١٥).

أجود سيفك! فغضب الزبير، يريد أن العمل ليده لا للسيف.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم[١].

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والخسران والمذلة لأعداء الدين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

ويوم حنين طاعن الزبير المشركين حتى أزالهم عن أماكنهم، وكان قائد المشركين يراقب سير القتال، فأخبره أصحابه أنهم يرون فارسًا واضعًا رمحه على عاتقه، عاصبًا رأسه بملاءة حمراء، فقال: هذا الزبير بن العوام، وأحلف باللات ليخالطنكم فاثبتوا له.

فلما انتهى الزبير إلى مواضع المشركين وأبصرهم، قصدهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها[٢].

وقال فيه علي بن أبي طالب: يغضب كالنمر، ويثب وثوب الأسد[٣].

وفي يوم اليرموك، عن عروة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: ألا تشد فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم، فقالوا: لا تفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلًا، فأخذوا بلجامه، فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ،

---

(١) «السير» للإمام الذهبي(١/ ٥١).

(٢) «قادة فتح الشام ومصر» (ص٢٠٥) للواء الركن محمود شيث خطاب - ط/ دار الفكر.

(٣) «تهذيب ابن عساكر»(٥/ ٣٦٢).

وهو ابن عشر سنين، فحمله على فرس ووكل به رجلا [١].

ويا لروعة إقدام الزبير حين يُحجم الأبطالُ من صحابة رسول الله ﷺ، ولا يصبرون معه[٢].

قال ابن كثير -رحمه الله -:وقد كان فيمن شهد اليرموك:الزبير بن العوام،وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى. فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه، ثم جاءوا إليه مرة ثانية، ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه .وفي رواية: جُرِحَ [٣].

ويقول ابن كثير مرة أخرى: خرج مع الناس إلى الشام مجاهدًا، فشهد اليرموك، فتشرفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين، من أولهم إلى آخرهم [٤].

وأما في فتح مصر فله شجاعة نادرة، فلما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كانت معه قوات تبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده – يطلب المدد من الرجال – فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام في اثنى عشر ألفًا، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع. وكتب إليه إني أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألفٍ. وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال [٥].

(١) أخرجه البخاري(٣٩٧٥).
(٢) «علو الهمة»د/ سيد حسين(٣/ ٣٢٠).
(٣) «البداية والنهاية»(٧/ ١١).
(٤) «البداية والنهاية»(٧/ ٢٦٠).
(٥) «مصر والمغرب»(ص٦١).

وحين قدم الزبير على عمرو وجده محاصرًا حصن بابليون فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل للزبير: إن بها الطاعون. فقال: إنما جئنا للطعن والطاعون [١].

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سُلَّمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو، خوفًا من أن ينكسر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس [٢].

ولله در حسان حين يقول:

أقام على عهد النبي وهديه ∴ حواريُّه والقول بالفعل يُعْدَلُ

أقام على منهاجه وطريقه ∴ يُوالي ولي الحق والحقُّ أعدل

هو الفارسُ المشهور والبطلُ الذي ∴ يصولُ إذا ما كان يوم محجل

إذا كشفت عن ساقها الحربُ حشها ∴ بأبيض سباق إلى الموت يُرقل

وإن امرأ كانت صفية أُمُّهُ ∴ ومن أسدٍ في بيتها لَمُؤَمَّلُ

---

(١) «طبقات» ابن سعد (٣/ ١٠٧).

(٢) «قادة فتح الشام ومصر» (ص٢٠٩، ٢٢٧).

لـه مـن رسـول الله قُـربـى قريبةٌ ∴ ومـن نـصرة الإسـلام مجـدٌ مُؤثل

فكم كـرُبـةٍ ذبَّ الـزبـيرُ بسيفه ∴ عن المصطفى والله يعطي فيجزل

ثـنـاؤك خـيرٌ مـن فـعـال معاشر ∴ وفعلك يا ابـن الهاشمية أفضلُ

أما غيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه فعن أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه قالت: تزوجني الزبير رضي الله عنه وماله في الأرض مال لا مملوك ولا شيء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسُوسُه، وأدق النوى للناضحة، وأعلفه وأسقيه الماء، وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، فكان يخبز لي جارات من الأنصار، وكُنَّ نسوة صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي على ثُلُثَي فرسخ. قالت: فجئت يوماً والنوى على رأسه، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعا لي، ثم قال: «أخ أخ» ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته. قالت: وكان من أغير الناس. قالت: فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملُك النوى كان أشد علي من ركوبك معه!!، قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني[1].

عباد الله: وبعد حياة طويلة مليئة بالعطاء والتضحية والفداء كان الموعد في يوم الجمل فلقد شهد الزبير يوم الجمل، مع طلحة وعائشة - رضي الله عنهم جميعًا - عندما ذَكَّرَهُ علي بما قاله النبي ﷺ انصرف عنهم، فعن أبي حرب بن الأسود الديلي، قال: شهدت الزبير خرج يريد عليًّا، فقال له علي: أنشدك الله، هل سمعت رسول

(١) «حياة الصحابة» للكاندهلوي(٢/ ٦٩١).

الله ﷺ يقول: «**تقاتله وأنت له ظالم؟**» فقال: أذكر، ثم مضى الزبير منصرفا[١].

وانصرف الزبير ﷺ يوم الجمل عن علي، فلقيه ابنه عبد الله، فقال: جبناً، جبناً! قال: قد علم الناس أني لست بجبان،ولكن ذكرني «علي» شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ فحلفت أن لا أقاتله، ثم قال:

تَـرْكُ الأمـور التي أخشى عواقبها ∴ في الله أحسنُ في الدنيا وفي الدِّينِ

ولقد علمت لو أن علمي نافِعي ∴ أنَّ الحـيـاة مـن المـمات قـريـبُ

وقيل: إنه أنشد: فلم ينشب أن قتله ابن جرموز.

عن جون بن قتادة قال: كنت مع الزبير يوم الجمل، وكانوا يسلمون عليه بالإمرة إلى أن قال: فطعنه ابن جرموز ثانياً، فأثبته، فوقع، ودُفن بوادي السباع، وجلس علي ﷺ يبكي عليه هو وأصحابه[٢].

ولقد أخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ أن قاتل الزبير من أهل النار.

وأخبر الحبيب ﷺ أن الزبير سيموت شهيدًا. فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك، فقال رسول الله ﷺ: «**اسكن حراء! فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ﷺ[٣].

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وعلى سائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم

---

(١)أخرجه الحاكم(٣/ ٣٦٦) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
(٢) «السير» للإمام الذهبي(١/ ٦٠ - ٦١).
(٣) أخرجه مسلم(٢٤١٧) كتاب: فضائل الصحابة.

بإحسان إلى يوم الدين. اللهم أصلح الراعي والرعية. اللهم ول أمور المسلمين خيارهم ولا توليها شرارهم. اللهم عليك بالصليبيين أعداءك أعداء الدين، اللهم شتت شملهم، وفرق كلمتهم ،ولا تجعل لهم سلطانًا على المسلمين. اللهم احفظ دماء المسلمين واحفظ أعراضهم ، وأطعم جوعاهم واكس عاريهم ، واسق عطشاهم ، واستر عوراتهم ، وآمن روعاتهم ، إنك سميع مجيب.

obeikandl.com

عبد الرحمن بن عوف ﷺ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل عبد الرحمن ابن عوف الذي كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو. وقيل: عبد الحارث. وقيل: عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن. وأمه الشفاء بنت عوف، أسلمت وهاجرت.

أسلم عبد الرحمن قديما قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين،وشهد المشاهد كلها، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، وصلى رسول الله ﷺ خلفه في غزوة تبوك[1]. وهو أحد العشرة، وأحد الستة أهل

(١) «صفة الصفوة»(١/ ١٤٢).

الشورى، وأحد السابقين البدريين، القرشي الزهري. وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام[١].

عباد الله: لقد كان من أهم الدعائم التي أقام بها النبي ﷺ دولته المسلمة - تلك المؤاخاة التي أوجدها بين المهاجرين والأنصار - وكان من بين هؤلاء الذين آخى النبي ﷺ بينهم سعد بن الربيع الأنصاري، وعبد الرحمن بن عوف المهاجري.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قدم عبد الرحمن بن عوف، فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك[٢].

وأما عن أمانته: فقد قال الزبير بن بكار: كان عبد الرحمن بن عوف أمين رسول الله ﷺ على نسائه.

وأما مكانة عبد الرحمن بن عوف في قلوب الصحابة رضي الله عنه فلقد احتل مكانة سامقة في قلوب الصحابة رضي الله عنهم جميعًا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلسنا مع عمر، فقال: هل سمعت عن رسول الله ﷺ شيئا أمر به المرء المسلم إذا سها في صلاته، كيف يصنع؟ فقلت: لا والله، أوَمَا سمعت أنت يا أمير المؤمنين من رسول الله في ذلك شيئا؟ فقال: لا والله. فبينا نحن في ذلك أتى عبد الرحمن بن عوف، فقال: فيم أنتما؟ فقال عمر: سألته، فأخبره. فقال له عبد الرحمن: لكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سها أحدكم في صلاته حتى لا يدري أزاد أم نقص، فإن كان شك في الواحدة والثنتين، فليجعلها واحدة، وإذا شك في الثنتين أو الثلاث، فليجعلها ثنتين، وإذا شك في الثلاث والأربع فليجعلها ثلاثًا حتى يكون الوهم في الزيادة، ثم يسجد سجدتين، وهو جالس، قبل أن يسلم، ثم يسلم**»[٣].

---

(١) «السير» للإمام الذهبي(١/ ٦٨).

(٢) أخرجه البخاري(٧/ ٣١٧) مناقب الأنصار.

(٣) رواه أحمد(١/ ١٩٠)، والحاكم(١/ ٣٢٤ - ٣٢٥) وصححه ووافقه الذهبي.

قال الإمام الذهبي: فأصحاب رسول الله ﷺ وإن كانوا عدولًا فبعضهم أعدل من بعض وأثبت، فهنا عمر قنع بخبر عبد الرحمن[١].

أما ما ورد عن مناقب هذا الصحابي الجليل فكثيرة وكل المناقب لا توازي -وإن اجتمعت - تلك المنقبة العظيمة ألا وهي صلاة النبي ﷺ خلفه. فعن عمرو بن وهب الثقفي، قال: كنا مع المغيرة بن شعبة، فسئل: هل أم النبي ﷺ أحد من هذه الأمة غيرُ أبي بكر؟ قال: نعم. فذكر أن النبي ﷺ توضأ ومسح على خفيه وعمامته، وأنه صلى خلف عبد الرحمن بن عوف، وأنا معه، ركعة من الصبح وقضينا الركعة التي سبقنا[٢].

ومن مناقبه أن النبي ﷺ شهد له بالجنة، وأنه من أهل بدر الذين قيل لهم: «اعملوا ما شئتم».. ومن أهل هذه الآية: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح:١٨] [٣].

وعن أبي سعيد، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[٤].

وعن سعيد بن زيد ﷺ أن رسول الله ﷺ كان على حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف، فقال: «**اثبت حراء! فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد**»[٥]. وقال أبو عمر بن عبد البر: كان مجدودًا في التجارة. خلَّف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس. وكان يزرع بالجرف على

---

(١) «السير» للإمام الذهبي(١/ ٧٣).
(٢) أخرجه مسلم(٨١).
(٣) «السير» للإمام الذهبي(١/ ٧٨).
(٤) أخرجه البخاري(٢٥٤١).
(٥) رواه أحمد(١/ ١٨٨ - ١٨٩)، والترمذي(٣٧٥٨)، في المناقب، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

عشرين ناضحًا[١].

قال الإمام الذهبي: قلت: هذا هو الغني الشاكر، وأويس فقير صابر، وأبو ذر وأبو عبيدة زاهد عفيف[٢].

وعن بسرة بنت صفوان: أن النبي ﷺ سألها: «من يخطب أم كلثوم بنت عقبة؟» قالت: فلان وفلان وعبد الرحمن بن عوف، فقال: «أنكحوا عبد الرحمن بن عوف، فإنه من خيار المسلمين ومن خيارهم من كان مثله»[٣].

وأما إنفاقه في سبيل الله فلقد عاش الصحابة رضي الله عنهم مع كل آية من آيات القرآن الكريم، بل وتعايشوا معها.

فها هو عبد الرحمن بن عوف يستمع إلى قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[آل عمران:٩٢].

وإلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة:١١١] فيسرع الخطى لينفق ماله لله - جل وعلا- رغبة فيما عند الله وزهدًا في تلك الدنيا الفانية التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

عن طلحة بن عبد الله بن عوف، قال: كان أهل المدينة عيالًا على عبد الرحمن بن عوف: ثلث يُقرضهم ماله، وثلث يقضي دينهم، ويصلُ ثلثًا[٤].

وعن عروة أن عبد الرحمن بن عوف أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله،

---

(١) الجرف موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.
(٢) «السير» للذهبي(١/ ٩٢).
(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني، «المجمع» برقم(١٤٨٩٣).
(٤) «السير» للإمام الذهبي(١/ ٨٨).

فكان الرجل يُعطي منها ألف دينار.

وعن الزهري أن عبد الرحمن أوصى للبدريين، فوجدوا مئة فأعطى كل واحد منهم أربع مئة دينار، فكان منهم عثمان، فأخذها[١].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي لكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله الذي جعل للفقراء حقًّا عند إخوانهم من الموسرين، وجعل وضع ذلك في محله إبراء لذمة المحسنين وسد حاجة المعسرين، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره له الفضل وله المنُّ وهو خير الرازقين، وأُصلي وأسلم على نبينا محمد ﷺ دائمين متلازمين إلى أن نلقاه، اللهم صل على سيدنا محمد القدوة في العطاء والبذل إمام المتقين.

أما بعد:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهلي من بعدي**» قال فباع عبد الرحمن بن عوف حديقة بأربع مائة ألف قسمها في أزواج النبي ﷺ[٢].

وعن أم سلمة ﷺ قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه: «**إن الذي يحنو عليكن من بعدي لهو الصادق البار، اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة**»[٣].

بل لقد تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله، ثم تصدق بعد بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة

(١) «السير» للإمام الذهبي(١/ ٩٠).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»(٣/ ٣١١ - ٣١٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) قال الهيثمي: رواه أحمد، والطبراني ورجاله ثقات «مجمع الزوائد»(١٤٨٩٨).

راحلة، وكان أكثر ماله من التجارة وقيل: إنه أعتق في يوم واحد ثلاثين عبدًا[١].

وعن أنس قال: رأيت عبد الرحمن بن عوف، قسم لكل امرأة من نسائه بعد موته مئة ألف[٢].

أما زهده في الدنيا ومحاسبته لنفسه فقد ضرب في ذلك أروع الأمثلة - رضي الله عنه: عن سعيد بن جبير قال: حدثنا أبو الهيَّاج قال: رأيت رجلًا يطوف بالبيت وهو يقول: اللهم قني شح نفسي. فسألت عنه فقالوا: هذا عبد الرحمن بن عوف.

وعن سعد بن إبراهيم، عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أُتِي بطعام، وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خير منِّي كُفِّنَ في بردة، إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّي رجلاه بدا - أي ظَهَرَ رأسه - وأراه قال: وقتل حمزة رضي الله عنه - وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال: أعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

وعن شقيق عن أم سلمة، قالت: دخل عليها عبد الرحمن بن عوف، فقال: يا أمَّه، قد خشيت أن يهلكني كثر مالي، أنا أكثر قريش كلهم مالًا، قالت: يا بني، تصدق، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه» فخرج عبد الرحمن، فلقي عمر فأخبره بما قالت أم سلمة، فدخل عليها فقال لها: بالله منهم أنا؟ قالت: لا، ولن أقول لأحد بعدك.

وعن نوفل بن إياس الهذلي. قال: كان عبد الرحمن لنا جليسًا، وكان نعم الجليس، وإنه انقلب بنا ذات يوم حتى دخلنا منزله، ودخل فاغتسل، ثم خرج فجلس معنا، فأتينا بقصعة فيها خبز ولحم، ولما وُضِعَتْ بكى عبد الرحمن بن عوف، فقلنا له: ما يبكيك يا أبا محمد؟ قال: مات رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز

---

(١) «الإصابة» للحافظ ابن حجر (٤/ ٩١).

(٢) «السير» للإمام الذهبي (١/ ٩٠).

الشعير، ولا أرانا أُخِّرْنا لهذا لما هو خير لنا.

أما زهده في الإمارة والخلافة فقد تمنى من الله جل وعلا أن يميته قبل أن تصل إليه.

فعن عبد الرحمن بن أزهر أن عثمان اشتكى رعافًا، فدعا حمران فقال: اكتب لعبد الرحمن العهد من بعدي. فكتب له، وانطلق حمران إلى عبد الرحمن، فقال: البشرى. قال: وما ذاك؟ قال: إنَّ عثمان قد كتب لك العهد من بعده. فقام بين القبر والمنبر، فدعا، فقال: اللهم إن كان من تولية عثمان إياي هذا الأمر، فأمتني قبله، فلم يمكث إلا ستة أشهر حتى قبضه الله[1].

قال الذهبي: من أفضل أعمال عبد الرحمن بن عوف: عزله نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابيًا فيها، لأخذها لنفسه أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه: سعد بن أبي وقاص[2].

أما تواضعه رضي الله عنه فعن سعد بن الحسن التميمي، قال: كان عبد الرحمن بن عوف لا يُعْرَفُ من بين عبيده. يعني: من التواضع في الزِّيِّ.

رضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ الذين عَلِمُوا فعملوا، عَلِمُوا قول رسولهم ﷺ: «**البذاذة من الإيمان**»[3].

وقد قال ﷺ: «**من ترك اللباس تواضعًا لله، وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها**»[4].

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١/ ٨٨).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١/ ٨٦).
(٣) والبذاذة: اللباس دون اللباس والتواضع، ورثاثة الثياب في الملبس رواه أحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٧٩). والمفرش.
(٤) رواه الترمذي والحاكم عن معاذ بن أنس، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٤٥).

ولله در القائل:

لَيسَ الجَمالُ بِمَئْزَرٍ .·. فاعلَمْ وإنْ رُدِّيتَ بُرْدًا

إن الجَمالَ مَعَادِنٌ .·. ومَحاسِنٌ أَوْرَثْنَ مَجْدًا

وأما الدعوة إلى الله ونصيبه منها فمنها ما أخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: دعا النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال: «تجهز فإني باعثك في سرية» فذكر الحديث وفيه، فخرج عبد الرحمن حتى لحق بأصحابه، فسار حتى قدم دومة الجندل، فلما دخلها دعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي رضي الله عنه وكان نصرانيًّا وكان رأسهم، فكتب عبد الرحمن مع رجل من جُهينة - يقال له رافع بن مكيث - إلى النبي ﷺ يخبره، فكتب إليه النبي ﷺ أن تزوج ابنة الأصبغ، فتزوجها، وهي تماضر التي ولدت له بعد ذلك أبا سلمة بن عبد الرحمن[1].

عباد الله: اعلموا رحمكم الله أنَّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم، وهذا المشهد المهيب يرويه لنا ابنه. فعن إبراهيم بن عبد الرحمن، قال: غُشيَ على عبد الرحمن بن عوف في وجعه حتى ظنوا أنه قد فاضت نفسه، حتى قاموا من عنده، وجلَّلُوه. فأفاق يكبر، فكبر أهل البيت، ثم قال لهم: غُشيَ علي آنفًا؟ قالوا: نعم. قال: صدقتم! انطلق. بي في غشيتي رجلان أجد فيهما شدَّة وفظاظة، فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين، فانطلقا بي حتى لقيا رجلًا، فقال: اين تذهبان بهذا؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين. فقال: ارجعا، فإنه من الذين كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم، وإنه سيمتع به بنوه إلى ما شاء الله، فعاش بعد ذلك شهرا[2].

---

(١) «الإصابة في تراجم الصحابة» (١/ ١٠٨).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٠٧) بأطول مما هنا وأخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ٩٥) وذكره الحافظ في المطالب العالية(٤٠٠٧).

أما رحلته إلى الدار الآخرة، فقد رحل عبد الرحمن بن عوف ﷺ بكل هدوء بعد حياة طويلة مليئة بالبذل والعطاء والتضحية والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال.

فعن سعد بن إبراهيم عن أبيه قال: لقد رأيت سعد بن أبي وقاص في جنازة عبد الرحمن بن عوف عند قائمتي السرير، فجعل يقول: واجبلاه[1].

وعن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده أنه قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول يوم مات عبد الرحمن: اذهب ابن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت رنقها.[2]

لقد عاش عبد الرحمن بن عوف ﷺ خمسًا وسبعين سنة، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين. ودفن بالبقيع وصلى عليه عثمان. فرضي الله عنه وعن عثمان وعن سائر الصحابة أجمعين.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وعلى سائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم أصلح الراعي والرعية. اللهم ول أمور المسلمين خيارهم ولا توليها شرارهم. اللهم عليك بالصليبيين أعداءك أعداء الدين. اللهم شتت شملهم وفرق كلمتهم ولا تجعل لهم سلطانًا على المسلمين. اللهم احفظ دماء المسلمين واحفظ أعراضهم وأطعم جوعاهم واكس عاريهم واسق عطشاهم واستر عوراتهم وآمن روعاتهم إنك سميع مجيب.

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ١٣٥)، والحاكم (٣/ ٣٠٨).

(٢) الرنق: الكدر. قال الأرنؤوط: رواه الطبراني في الكبير (٢٦٣) بإسناد صحيح.

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هو سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد السابقين الأولين الذين شهدوا المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وأحد الستة أهل الشورى وخال رسول الله ﷺ وبطل القادسية، وفاتح المدائن ومطفئ نار المجوس المعبودة إلى الأبد.

أما عن ثباته على الحق فقد كان رضي الله عنه من أكرم فتيان مكة وأشرفهم نسباً. وكان قلبه يحترق شوقًا إلى يد حانية تمتد لتخرج هؤلاء القوم من ظلمات الجاهلية وفساد المعتقد إلى أنوار التوحيد والإيمان، فلقد كان العرب قبل بعثة النبي ﷺ على أسوأ

حال على مدى العصور والأزمان. وأراد الحق جل جلاله الخير بهذه الأمة، فأشرق نور الوحي في أرجاء مكة ليضيء للكون كل طريقه إلى الله - جل وعلا -.

وعلى الرغم من أن سعدًا كان يومئذ يستقبل ربيعه السابع عشر، فقد كان يضم بين برديه[1] كثيراً من رجاحة الكهول[2] وحكمة الشيوخ.

فلم يكن مثلًا يرتاح إلى ما يتعلق به المماثلون له في السن من ألوان اللهو، وإنما كان يصرف همه إلى بري السهام، وإصلاح الأقواس، والتمرس بالرماية حتى لكأنه كان يُعِدُّ نفسه لأمر كبير[3].

والهداية أولاً وآخرًا منحة ربانية يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده، فقذف الله نور الهداية في قلب سعد ﷺ فأسرع إلى الإسلام حتى إنه كان يقول: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام، وإني لثلث الإسلام[4].

لكن إسلام سعد بن أبي وقاص لم يمر سهلًا هيِّنًا - وإنما عرَّض الفتى المؤمن لتجربة من أقسى التجارب قسوة وأعنفها عنفًا؛ حتى إنه بلغ من قسوتها وعنفها أن أنزل الله سبحانه في شأنها قرآنا[5].

فعن أبي عثمان أن سعدًا قال: نزلت هذه الآية فيَّ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾[العنكبوت:٨] قال: كنت براً بأمي فلما أسْلَمْتُ، قالت: يا سعد! ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لَتَدَعَنَّ دينك هذا، أوْ لا آكل، ولا أشرب، حتى أموت، فَتُعَيَّرُ بي، فيقال: يا قاتل أمه، قلت: لا تفعلي يا أمه، إني لا أدع ديني هذا لشيء، فمكثت يوماً لا تأكل ولا تشرب وليلة،

(١) برديه: أي ثوبيه
(٢) الكهول: عقل الكهول ورصانتهم
(٣) صور من حياة الصحابة (ص:٢٩١).
(٤) أخرجه البخاري (٣٧٢٧).
(٥) صور من حياة الصحابة (٢٩٢).

وأصبَحَتْ وقد جهُدت، فلما رأيت ذلك، قلت: يا أمه! تعلمين والله لو كان لك مائة نفس، فخرجت نفسًا نفسًا، ما تركت ديني. إن شئت فكلي أو لا تأكلي: فلما رأت ذلك أكلت (١).

ولقد بذل سعد رضي الله عنه نفسه ووقته وماله في سبيل الله.

وكان الحبيب ﷺ يحبه من كل قلبه حتى إنه كان يفتخر بأنه خاله.

فعن جابر، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأقبل سعد بن أبي وقاص فقال ﷺ: «**هذا خالي فليرني امرؤ خاله**» (٢).

بل كان رضي الله عنه ممن فازوا بتلك المنقبة العظيمة، فعن عبد الله ابن ظالم قال: خطب المغيرة فنال من عليّ فخرج سعيد بن زيد فقال: ألا تعجب من هذا يسب عليًا، أشهد على رسول الله ﷺ أنا كنا على حراء أو أحد، فقال رسول الله ﷺ: «**أثبت حراء أو أحد! فإنما عليك نبي أو صدِّيق أو شهيد**» فسمى النبي، وأبا بكر، وعمر وعثمان، وعليًا، وطلحة، والزبير، وسعدًا. وعبد الرحمن، وسمى سعيد نفسه - رضوان الله عليهم (٣).

بل لقد كان من الذين أمر الله نبيه ﷺ بأن يقربهم منه، فعن سعد قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[الأنعام:٥٢] (٤).

---

(١) أخرجه مسلم(١٧٤٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٩٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٨٨، ١٨٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٤١٣).

وكان سعد س هو أول من رمى بسهم في سبيل الله. عن الزهري قال: بعث رسول الله ﷺ سرية فيها سعد بن أبي وقاص إلى جانب من الحجاز يدعى رابغ وهو من جانب الجحفة. فانكفأ المشركون على المسلمين، فحماهم سعد يومئذ بسهامه، فكان هذا أول قتال في الإسلام، فقال سعد:

ألا هل أتى رسول الله أني ... حميتُ صحابتي بصدور نبلي

فما يعتدُّ رامٍ في عدوٍّ ... بسهمٍ يا رسولَ الله قبلي

ولقد بلغت محبة النبي ﷺ في قلب سعد مبلغًا عظيمًا حتى إنه كان يتمنى أن يفديه بنفسه وولده وماله والدنيا كلها.

ومن ثقة النبي ﷺ في سعد ﷺ أن جعله حارسًا له، فعن عائشة قالت: أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: «ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة».

قالت: فسمعنا صوت السلاح، فقال رسول الله ﷺ: «من هذا؟» قال سعد بن أبي وقاص: أنا يا رسول الله جئت أحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتى سمعتُ غطيطه[1].

وكان النبي ﷺ يتعهد سعد بالزيارة والدعاء له فعن عائشة بنت سعد، أن أباها قال: تشكيت بمكة شكوى شديدة، فجاءني النبي ﷺ يعودني - يزورني - فقلت: يا نبي الله إني أترك مالًا، وإني لم أترك إلا بنتًا واحدة، فأوصي بثلثي وأترك الثلث؟ قال: لا. قلت: فأوصي بالنصف وأترك النصف؟ قال: «لا». قلت: فأوصي بالثلث وأترك الثلثين؟ قال: «الثلث والثلث كثير». ثم وضع يده على جبهته، ثم مسح يده على وجهي وبطني، ثم قال: **«اللهم اشف سعدًا، وأتمم له هجرته، فما زلت أجد برده على كبدي فيما يخال إليّ حتى الساعة»**[2].

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٥)، الجهاد، ومسلم (٢٤١٠) الفضائل.
(٢) أخرجه البخاري(٥٦٥٩)، المرض، ومسلم(١٦٢٨).

ولما توفي رسول الله ﷺ ولحق بالرفيق الأعلى ظل سعد على عهده زاهدًا عابدًا مجاهدًا في سبيل الله. وكان الصحابة يعرفون له قدره ومنزلته.

عباد الله: لقد امتن الله على سعد بن أبي وقاص بأن جعله مستجاب الدعوة. وذلك ببركة دعاء النبي ﷺ له عندما قال: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك»[١].

وفي عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه شكا أهل الكوفة سعدًا رضي الله عنه وقالوا: إنه لا يُحسن يصلي. فقام سعد، وقال: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله وكنا نغزو مع النبي ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعيرُ أو الشاةُ ماله خلط، فأصبحت بنو سعد تُعزرُني على الإسلام لقد خبتُ إذًا وضَلَّ عملي[٢].

وفي رواية عن جابر بن سمرة رضي الله عنه سأل عنه في مساجد الكوفة وكانوا يثنون على سعد رضي الله عنه إلا مسجدًا لبني عبس قام رجل منهم يقال له: أسامة ابن قتادة يكنى أبا سعدة قال: أما إذا نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن، وكان بعد إذا سُئِلَ يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطريق يغمزهن[٣].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائل المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٥٢).
(٢) أخرجه البخاري (٣٧٢٨)، ومسلم(٢٩٦٦).
(٣) أخرجه البخاري (٧٥٥) وأخرجه مسلم(٤٥٣).

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين،وعلى آله وصحابته والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله: وكان الناس من حول سعد بن أبي وقاص يخافون من دعائه عليهم لعلمهم بأن الله - جل وعلا - يستجيب دعاءه في التو واللحظة.

عن سعيد بن المسيب قال: كنت جالسًا مع سعد، فجاء رجل يقال له: الحارث بن برصاء وهو في السوق. فقال له: يا أبا إسحاق إني كنت آنفًا عند مروان، فسمعته وهو يقول: إن هذا المال مالنا نعطيه من شئنا قال: فرفع سعد يده، وقال: أفأدعو؟. فوثب مروان وهو على سريره فاعتنقه وقال: أنشدك يا أبا إسحاق ألا تدعو فإنما هو مال الله[1].

وعن سعيد بن المسيب قال: خرجت جارية لسعد عليها قميص جديد، فكشفتها الريح، فشد عمر عليها بالدرة، وجاء سعد ليمنعه، فتناوله بالدرة، فذهب سعد يدعو على عمر، فناوله الدرة، وقال: اقتص فعفا عن عمر[2].

أما عن جهاده في سبيل الله، فلقد شهد سعد رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها وأبلى فيها بلاءً حسنًا.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لقد رأيت سعدًا يقاتل يوم بدر قتال الفارس في الرجال.

وعن عامر الشعبي، قال: قيل لسعد بن أبي وقاص: متى أصبت الدعوة؟ قال: يوم بدر، كنت أرمي بين يدي النبي ﷺ فأضع السهم في كبد القوس، ثم أقول:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك(٣/ ٥٠٠) وقال العدوي في فضائل الصحابة: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني برقم (٣٠٩).

اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وافعل بهم، وافعل، فيقول النبي ﷺ: «اللهم استجب لسعد»[١].

وفي غزوة أحد عندما عصى الرماة أمر رسول الله ﷺ وتركوا الجبل فاستطاع المشركون أن ينقضوا على المسلمين وأن يُحْدثوا فيهم مقتلة عظيمة وأرادوا بعد ذلك قتل الحبيب ﷺ فثبت معه سعد بن أبي وقاص مع ثلة من الأنصار وطلحة بن عبيد الله.

وكان سعد يرمي بالنبل دفاعًا عن رسول الله ﷺ.

قال سعد: فلقد رأيته ﷺ يناولني النبل وهو يقول: «ارم فداك أبي وأمي» حتى إنه ليناولني السهم ماله من نصل، فيقول: «ارم به»[٢].

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك.

فإني سمعته يقول يوم أُحد: «يا سعد ارم فداك أبي وأمي»[٣].

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٨٤) في ترجمة الزبير أنه ﷺ جمع له أبويه يوم الخندق.. ويجمع بينهما بأنَّ عليا رضي الله عنه لم يطلع على ذلك أو مراده بذلك بقيد يوم أحد بل إنه رضي الله عنه رأى الملائكة يوم أحد.

عن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أُحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد[٤].

قال النووي: فيه بيان كرامة النبي ﷺ على الله تعالى وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه وبيان أن الملائكة تقاتل وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافًا لمن زعم اختصاصه، فهذا صريح في الرد عليه وفيه فضيلة الثياب البيض وأن

---

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٤٨٥١): رواه الطبراني وإسناده حسن.
(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٩٠٥ فتح)، ومسلم (٤/ ١٨٧٦/ ح٤١).
(٣) أخرجه البخاري (٤٠٥٩)، ومسلم (٢٤١١).
(٤) رواه البخاري(٧/ ٤١٤، ٤١٥) المغازي، ومسلم (١٥/ ٦٦) الفضائل.

رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء، بل يراهم الصحابة والأولياء وفيه منقبة لسعد بن أبي وقاص الذي رأى الملائكة والله أعلم[١].

وقال الحافظ: الملكان اللذان يقاتلان عن النبي ﷺ هما جبريل وميكائيل.

وظل سعد رضي الله عنه يشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ثابتًا حتى توفي رسول الله ﷺ وبقي سعد على عهده الذي كان عليه يشهد المشاهد مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما جميعًا - حتى كانت الفتوحات الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه وهنا قام سعد رضي الله عنه كالأسد الضاري يشق صفوف الأعداء ليحقق للإسلام أعظم الانتصارات.

لما تجهز الفرس لقتال العرب، قال عمر بن الخطاب: والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب. وكتب عمر إلى عماله: لا تدعوا أحدًا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه، ثم وجهتوه إلي والعجل العجل[٢].

وأراد عمر أن يتولى قيادة هذا الجيش، فصرفه عن ذلك أهل مشورته، فجمع عمر الناس، وقال لهم: إني قد عزمت على المسير حتى صرفني ذوو الرأي منكم، وقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلًا، فأشيروا علي برجل، وكان سعد يومذاك على صدقات هوازن فلما وصل كتاب منه - حين كان عمر يستشير الناس فيمن يبعثه - فقال عمر: وجدته! قالوا: من هو؟ قال: الأسد عاديا سعد بن مالك. وقال: إنه شجاع رام[٣].

وقال عبد الرحمن بن عوف: الأسد في براثنه: سعد بن مالك الزهري.

ويستدعي عمر سعدًا ويقول له: إني قد وليتك حرب العراق، فاحفظ وصيتي، فإنك تقدم على أمر شديد كربه، لا يخلص منه إلا الحق، فعوِّد نفسك ومَنْ معك الخير، واستفتح به، واعلم أن لكل عدة عتادًا وعتاد الخير الصبر، فاصبر على ما

---

(١) شرح النووي (١٥/ ٦٦).
(٢) الطبري (٢/ ٦٦٠)، وابن الأثير (٢/ ١٧٢).
(٣) البلاذري: (ص٢٥٥)، الطبري: (٣/ ٤).

أصابك[1].

وفي القادسية نَظَّم سعدٌ الجيش، وعبأه للحرب، وجعل على كل عشرة رجال عريفًا، وأمر على الرايات رجالًا من أهل السابقة، وولى الحروب رجالًا، فولى على مقدماتها ومجنباتها وساقاتها وطلائعها ومشاتها وفرسانها، ولم يتقدم بعد ذلك إلا على تعبية، حتى يحول دون مباغتة العدو لقواته.

ولم ينس سعد القضايا الإدارية في جيشه، فعيَّن مسئولًا عن القضاء، وجعله مسئولًا عن قِسْمة الفيء أيضًا، وعين مسئولًا عن الوعظ والإرشاد، وعين مترجمًا يجيد اللغة الفارسية، كما عين كاتبًا تنتهي إليه الأمور الكتابية.

ووصل جيش المسلمين القادسية، فبعث عيونه ليعلموا له خبر أهل فارس، ثم أرسل بعض المغازر للإغارة على المناطق المجاورة، فعادت كلها بالفتح والغنائم والسلامة، وأرسل وفودًا من رجالات المسلمين إلى كسرى وإلى رستم يفاوضونهما ويعرضون عليهما مطالب المسلمين: الإسلام أو الجزية، أو السيف، فكان لهذه الوفود تأثير معنوي حاسم على كسرى وقائده رستم.

وتهيأ الفريقان للقتال، وقبل أن يأذن سعد بالقتال، بعث ذوي الرأي والعقل والنجدة إلى الناس، ليحرضوهم على القتال، وأمر سعْد بقراءة سورة الجهاد وهي (سورة الأنفال)، فلما قُرِئَتْ هشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها[2]. ونادى منادي سعد في جيشه: ألا إن الحسد لا يحل إلا على الجهاد في أمر الله يا أيها الناس، فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد.

وتحالفت الأمراض على البطل القائد العام سعد فأصابته بعرق النساء وبحبوب ودمامل منعته من الركوب، بل حتى من الجلوس، فلم يستطع أن يركب ولا أن يجلس، فاعتلى القصر وأكب من فوقه على وسادة في صدره يُشْرِفُ على الناس

---

(١) تاريخ الطبري(٣/ ٤ - ٥).

(٢) الطبري(٣/ ٤٧)، وابن الأثير(٢/ ١٨١ - ١٨٢).

وأسفل منه في الميدان خليفته؛ (خالد بن عرفطة) يرمي إليه من أعلى بالرقاع فيها أمره ونهيه، وكان آخر صفوف المسلمين إلى جانب القصر[١].

عباد الله: هكذا! كان دأب السلف الصالح رضوان الله عليهم يجاهدون في سبيل الله حتى وأحدهم في أشد المرض ولا يثنيه ذلك عن العمل لإعلاء كلمة الله، فجزاهم الله خيرًا عن الإسلام والمسلمين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعلى سائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين اللهم أصلح الراعي والرعية وول أمور المسلمين خيارهم.

(١) الطبري(٠٣/ ٥٣٠، ٥٣١، ٥٧٣).

obeikandl.com

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: موضوعنا اليوم بإذنِ الله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في الخطبة الثانية: وفي معركة القادسية أكب سعد على وجهه مطلعًا على جيشه، فخطبهم وقال: إن الله هو الحق، لا شريك له في الملك، وليس لقوله خلف قال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

إن هذا ميراثكم وموعود ربكم، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج، فأنتم تطعمون منها، وتأكلون منا وتقتلون أهلها وتجبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم، بما نال منهم أصحاب الأيام منكم، ولقد جاءكم منهم هذا الجمع، وأنتم وجوه

العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعزّ من وراءكم، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة، ولا يقرب ذلك أحدًا إلى أجله، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم. ثم قال: إني استخلفت عليكم خالد بن عرفطة، وليس يمنعني أن أكون مكانه إلا وجعي الذي يعودني وما بي من الحبون، فإني مكب على وجهي، وشخصي لكم بادٍ، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه إنما يأمركم بأمري، ويعمل برأيي.

قال الطبري: فقرئ على الناس فزادهم خيرًا، وانتهوا إلى رأيه، وقبلوا منه وتحادثوا على السمع والطاعة، وأجمعوا على عذر سعد والرضى بما صنع[1].

لك الله أيها الليث في براثنه تدير أشرس المعارك، المعركة الفاصلة، وأنت منبطح على وجهك في شرفتك، وباب دارك مفتوح، وأقل هجوم من الفرس على الدار يسقطك في أيديهم حيًّا أو ميتًّا.

وبعد ثلاثة أيام ونصف يوم تهاوى جنود الفرس كالذباب المترنح، وتهاوت معهم الوثنية وعبادة النار!! .

وقد خسر المسلمون في القادسية أكثر من خمسة وعشرون في المائة من قواتهم.

والقادسية أعظم أثرًا في تاريخ الإنسانية من غزوات تيمورلنك ونابليون، بل من كل الغزوات التي وقعت إلى عصرنا الحاضر، لقد كشفت معركة القادسية عن معدن سعد النفيس وفرط شجاعته، وما إقامته بالقصر مع ما به من علة تمنعه من مباشرة القتال إلا إفراطًا في الشجاعة.

وكتب سعد إلى عمر بخبر النصر على المجوس، فقال: أما بعد، فإن الله نصرنا على أهل فارس، ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم، بعد قتال طويل، وزلزال شديد، ولقد لقوا المسلمين بعُدَّة لم يرَ الراؤون مثل زهائها، فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبُوهُ، ونقله عنهم إلى المَسلمين، واتبعهم المسلمون على الأنهار، وعلى

(١) الطبري(٣/ ٥٣٢).

طفوف الآجام، وفي الفجاج، وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ، وفلان وفلان، ورجال من المسلمين، لا نعلمهم الله بهم عالم، كانوا يدوُّن بالقرآن - إذا جن الليل - دوي النحل،وهم آساد لا يشبههم الأسود[1].

وأما عن فتح البيت الأبيض، فقد روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لتفتحن عصابة من أمتي كَنْزُ آل كسرى الذي في الأبيض**».

ولقد أمضى سعد شهرين في القادسية بعد المعركة، وكاتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما يفعل، فكتب إليه عمر بالمسير إلى المدائن عاصمة كسرى. وتحرك الجيش المنتصر باتجاه المدائن وسار المسلمون من نصر إلى نصر في برس وفي بابل. وفي (بهرسير). وبذلك أصبح جيش المسلمين في الضفة المقابلة للمدائن، وحاول سعد أن يؤمِّن عبور جيشه في السفن، فلم يقدر على شيء منها؛ لأن الفرس ضمُّوا السفن ليحرموا المسلمين من الإفادة منها. وكان النهر عريضًا طافحًا بالماء، يقذف بالزبد لشدة جريانه، وموجه المتلاطم وزاد المدُّ فيه، وارتفعت مياهه ارتفاعًا كبيرًا، وفي ليلة من ليالي سعد، رأى رؤيا خلاصتها أن خيول المسلمين اقتحمت مياه دجلة الهادرة وعبرت. وقد أقبلت من المد بأمرٍ عظيم.

فَصَدَّق الرؤيا، وعزم على عبور النهر، فجمع الجيش وقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليه معه، وهم يَخْلُصُونَ إليكم إذا شاءوا فَيُناوشُونكم في سفنهم وليس وراءكم شيء، تخافون أن تؤتوا منه، فقد كفاكموه أهل الأيام، وعطلوا ثغورهم، وأفنوا ذادتهم، وقد رأيت من الأوفق أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم. فقالوا جميعًا عزم الله لنا ولك على الرشد، فافعل[2].

---

(١) تاريخ الطبري(٣/ ٨٥٣).

(٢) الطبري(٣/ ١١٩).

وندب سعد الناس للعبور، ثم قال: من يبدأ ويحمي لنا الفراض لكي لا يمنعونا من العبور[١].

فانتدب عاصم بن عمرو التيمي، وانتدب معه ستمائة من أهل النجدات، فعبر هؤلاء المغاوير، وعبر سعد مع جيشه بعدهم، ففاجؤوا أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم.

سبحان الله!! نهر هادر لا يقل عُمق مياهه عن ستة أمتار تخوضه الخيول سباحةً وعلى رأسها الفرسان يقاتلون.

قال لهم سعد وهم يخوضون ليصلوا إلى شاطئ، أسبانير: قولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٢].

لقد اقتحموا دجلة ما يكترثون، وإنهم ليتحدثون أثناء عبورهم النهر الهادر، كما يتحدثون في مسيرتهم على الأرض. نجحت خطة سعد نجاحاً يذهل له المؤرخون، نجاحًا أذهل سعدًا نفسه وأذهل صاحبه ورفيقه في المعركة سلمان الفارسي عامت بهم الخيل وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه، وليُظهرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان: الإسلام جديد، ذُلِّلتْ لهم والله البحور، كما ذُلل لهم البر، أما والذي نفسي بيده ليخرُجُنَّ منه أفواجًا كما دخلوه أفواجًا. لم تضع منهم شكيمة فرس[٣]. فطبقوا الماء حتى ما يُرى الماء من الشاطئ، ولهم فيه أكثر حديثا منهم في البر لو كانوا فيه، فخرجوا منه – كما قال سلمان لم يفقدوا شيئا، ولم يغرق منهم أحد، إلا رجلًا من بارق يُدعى (غرقدة) زال عن ظهر فرس له شقراء، قال أبو عثمان النهدي: كأني أنظر إليها تنفض أعرافها عرياً والغريق طاف، فثنى القعقاع عنان فرسه إليه، فأخذه

(١) الفراض: جمع فرضه، وهني ثغور المخاضة من الناحية الأخرى وتسمى في المصطلح العسكري رأس جسر

(٢) الطبري(٤/ ٤٨).

(٣) تاريخ الرسل والملوك(٤/ ١١).

بيده فجرَّه حتى عبر، فقال البارقي - وكان من أشد الناس: - عجز الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع، وكان للقعقاع فيهم خؤولة.

عباد الله: لقد نظر جنود يزدجرد: إلى هذه الخيل التي ملأت دجلة، وجعلوا يرددون بالفارسية (ديوان آمد) ويقول بعضهم لبعض: والله ما تقاتلون إلا الجن.

قال أبو عثمان النهدي: «طُبِّقَتْ دجلة خيلًا ودواب حتى ما يرى الماء من الشاطئ أحد، فخرجت بنا خيلنا إليهم تنفض أعرافها لها صهيل، فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لا يلوون على شيء.

وفزع يزدجرد ملك الفرس، وما استطاع أن يخرج من باب قصره المواجه للشاطئ، وكان بينه وبين الشاطئ، ثلاثة كيلومترات، فدلوه من الشرفات الخلفية لقصره الأبيض في زنبيل؛ ليفر من المدائن ومعه ألف طباخ وألف فهاد وألف بازيار.

حتى خيولهم أصابها الرعب نصرًا لأنصار الله؛ فقد جاء في «تاريخ الطبري» (٤/ ٥٣): «أن أوائل كتيبة الأهوال بقيادة عاصم أدرك رجالها مؤخرة المجوس، وفيهم فارس منهم يعترض على طريق من طرقها، يحمي مؤخرة أصحابه في فرارهم، وهو يضرب فرسه للإقدام فيحجم، ثم يضربه للهرب فيتقاعس، حتى لحقه رجل من جيش سعد يدعى ثقيفًا من بني عدي بن طريف، فضرب عنقه وأخذ ما كان عليه. ودخل سعد المدائن، وانتهى إلى إيوان كسرى، فأقبل يقرأ قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[الدخان:٢٥- ٢٨] [1].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) الطبري(٤/ ١٦).

الحمد لله ولي الصالحين، ناصر الموحدين على المشركين من أعداء الدين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

لقد كانت الفتوحات الإسلامية التي جرت في العراق، وفي شرقه وشماله حتى نهاية سنة عشرين الهجرية فتحها سعد بنفسه، أو أرسل إليها الجيوش والقادة لفتحها، وحتى الجيش الذي فتح نهاوند أرسله سعد، ولكن فَتْحَهَا جرى بعد عزله.

ولقد كان فتح سعد لهذه البلاد فتحًا مستدامًا. لقد فتح سعد العراق، وأكثر بلاد فارس، وأذربيجان، والجزيرة وبعض أرمينية، أي أنه فتح بصورة مباشرة العراق الحديث، وأكثر إيران بحدودها اليوم، وفتح القسم الجنوبي من تركيا المتاخمة لإيران، والقسم الواقع في شمالي إيران والذي يحد روسيا، وفوق ذلك مَصَّر الكوفة وكوَّفها، فأصبحت القاعدة الأمامية للفتح الإسلامي في الشرق كله، وأمدت العالم الإسلامي بعدد ضخم من قادة الفتح والفاتحين، فرضي الله عن سعد الفاتح العظيم. وأخيراً تبقى كلمة: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فارس اليمن عمرو بن معد يكرب عن سعد فقال: متواضع في خبائه، عربي في نمرته، أسد في تامورة؛ يدل في القضية، ويقسم بالسوية، ويبعد في السرية، يعطف[1]. علينا عطف الأم البرة، وينقل إلينا حقنا نقل الذرة[2].

وعن عمر أنه لما أصيب جعل الأمر شورى في الستة، وقال: من استخلفوه فهو الخليفة بعدي، وإن أصابت سعداً وإلّا فليستعن به الخليفة بعدي، فإنني لم أنزعه - يعني عن الكوفة - من ضعف ولا خيانة.

---

(١) كساء فيه خطوط بيض وسود، تلبن العرب. التامورك هو عرين الأسد، وهو بيته الذي أوي فيه.

(٢) نقلاً من صلاح الأمة في علو الهمة/ د. سيد حسين بتصرف.

قال الزهري: ولما استُخْلف عثمان عزل عن الكوفة(المغيرة)وأمَّر عليها سعدًا[١].

وبعد مقتل عثمان رضي الله عنه ووقعت الفتنة وأطلت برأسها بين (عليّ) و(معاوية) رضي الله عنهما، وكان الصحابة مجتهدين ومتأولين، والمجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، فلم يكن منهم واحد يريد سفك الدماء أو يريد زعامة أو يريد دنيا، وإنما كانوا جميعًا يريدون وجه الله - فرضي الله عنهم جميعًا وأرضاهم.

عباد الله: عندما وقعت الفتنة بين أصحاب الحبيب ﷺ اعتزل سعد رضي الله عنه تلك الفتنة، وقال:« ما أزعم أني بقميصي هذا أحق مني بالخلافة، جاهدت وأنا أعرف بالجهاد ولا أنجع نفسي إن كان رجلًا خيرًا مني، لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسانٌ فيقول: هذا مؤمن وهذا كافر»[٢].

وعن علي بن زيد عن الحسن، قال: لما كان الهيج في الناس، جعل رجل يسأل عن أفاضل الصحابة، فكان لا يسأل أحدًا إلا دله على سعد بن مالك.

وروى عمر بن الحكم: عن عوانة قال: دخل سعد على معاوية، فلم يُسَلِّم عليه بالإمرة، فقال معاوية: لو شئت أن تقول غيرها لقلت: قال: فنحن المؤمنون ولم نُؤَمِّرْكَ فإنك معجب بما أنت فيه، والله ما يسرني أني على الذي أنت عليه واني هرقت محجمة دم[٣].

عندما اعتزل سعد رضي الله عنه الفتنة فاز بتلك المنقبة العظيمة: عن حسين بن خارجة الأشجعي، قال: لما قُتِلَ عثمان، أشكلت علي الفتنة، فقلت: اللهم أرني من الحق أمرًا أتمسك به، فرأيت في النوم الدنيا والآخرة بينهما حائط، فهبطت الحائط، فإذا بنفر، فقالوا: نحن الملائكة، قلت: فأين الشهداء؟ قالوا اصعد الدرجات، فصعدت درجة ثم أخرى، فإذا محمد وإبراهيم - صلى الله عليهما - وإذا محمد يقول لإبراهيم:

---

(١) السير للإمام الذهبي(١/ ١١٨).

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٩٩): رواه الطبراني ورجاله رجاله الصحيح.

(٣) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي(١/ ١٢٢).

«استغفر لأمتي»، قال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم إهراقوا دماءهم، وقتلوا إمامهم ألا فعلوا كما فعل خليلي سعد؟.

قال: قلتُ: لقد رأيت رؤيا، فأتيت سعدًا، فقصصتها عليه، فما أكثر فرحًا، وقال: قد خاب من لم يكن إبراهيم - عليه السلام - خليله، قلت: مع أي الطائفتين أنت؟ قال: ما أنا مع واحد منهما، قلت: فما تأمرني؟ قال: هل لك من غَنَم؟ قلتُ: لا، قال: فاشتر غنمًا، فكن فيها حتى تنجلي. أي (تنكشف) [١].

وقال الإمام الذهبي: اعتزل سعد الفتنة، فلا حضر الجمل ولا صفين ولا التحكيم، ولقد كان أهلًا للإمامة كبير الشأن رضي الله عنه [٢].

وقد كان سعد رضي الله عنه زاهدًا في الإمارة وكان لا يطمع في أي شيء من حطام الدنيا فهو يعلم أن كل نعيم دون الجنة فهو سراب، وأن كل عذاب دون النار فهو عافية، فكان لا تطمع نفسه إلا في جنة الرحمن جل وعلا.

عن عامر بن سعد أن أباه سعدًا، كان في غنم له، فجاء ابنه عمر، فلما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما انتهى إليه، قال: يا أبت أرضيت أن تكون أعرابيًا في غنمك، والناس يتنازعون في الملك بالمدينة، فضرب صدر عمر، وقال: اسكت، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل يحب العبد التقي الغنيَّ الخفيَّ**»[٣].

أما دفاع سعد رضي الله عنه عن إخوانه فقد كان يدعو على من اعتدى عليهم فيستجيب الله دعاءه، فعن مصعب بن سعد، عن سعد أن رجلًا نال من علي رضي الله عنه فدعا عليه سعد فجاءته ناقة أو جمل فقتله فأعتق سعد نسمة وحلف أن لا يدعو على أحد[٤].

---

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: أخرجه الحاكم(٣/ ٥٠١ - ٥٠٢).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي(١/ ١٢٢).

(٣)أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك(٣/ ٤٩٩) وقال العدوي: إسناده حسن.

وفي رواية: عن قيس بن أبي حازم قال: كنت في المدينة فبينا - فبينما - أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت، فرأيت قوماً مجتمعين على فارس قد ركب دابة وهو يشتم علي بن أبي طالب والناس وقوف حواليه إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فوقف عليهم، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يشتم علي بن أبي طالب، فتقدم سعد فَأَفْرَ جُوالَهُ حتى وقف عليه، فقال: يا هذا علام تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله ﷺ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر حتى قال: ألم يكن ختن رسول الله على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله ﷺ في غزواته؟، ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم إن هذا يشتم وليًّا من أوليائك فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك.

قال قيس: فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات[1].

وأما صبره على البلاء فقد كُفَّ بصره ولم يدعو لنفسه احتساب ما عند الله من الأجر، فلما قدم سعد بن أبي وقاص مكة، وقد كان كُفَّ بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا، وكان مجاب الدعوة، قال عبد الله بن السائب: فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني. وقال: أنت قارئ أهل مكة؟ قلت:نعم. فذكر قصة، قال في آخرها، فقلت له: يا عم، أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فردَّ عليك بصرك؟ فتبسم وقال: يا بني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري[2]. وبعد حياة طويلة مليئة بالبذل والتضحية والجهاد في سبيل الله نام سعد رضي الله عنه على فراش الموت ليسلم روحه إلى بارئها - جل وعلا- وليلحق بالحبيب ﷺ في جنة الرحمن، فهو من العشرة المبشرين بالجنة. وعن أم سلمة أنها قالت: لما مات سعد، وجيء بسريره، فأدخل عليها، جعلت تبكي وتقول: بقية

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٤٩٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) إحياء علوم الدين(٤/ ٣٦٨).

أصحاب رسول الله ﷺ. ومات سعد في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، فَحُمِلَ على رقاب الرجال إلى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذ والي المدينة، ثم صلى عليه أزواج النبي ﷺ في حجرهن، ودفن بالبقيع، فرضي الله عن سعد وعن سائر الصحابة أجمعين وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأرض اللهم عن الخلفاء الراشدين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم انصر الإسلام والمسلمين على أعدائك أعداء الدين، اللهم ول أمور المسلمين خيارهم ولا توليها شرارهم يا أرحم الراحمين.

obeikandl.com

سعيد بن زيد رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن السابقين الأولين البدريين، ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وقد شهد سعيد بن زيد المشاهد مع رسول الله ﷺ ما خلا بدر، وشهد حصار دمشق وفتحها، فولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح، فهو أول من عمل نيابة دمشق في هذه الأمة[1].

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٨٨).

عباد الله: لقد كان زيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد فريدًا في عصره وزمانه، فقد كان الناس يعبدون الأصنام وهو يعبد الواحد الديان فخرج من صلبه هذا الابن المبارك سعيد بن زيد ليكون واحدًا من العشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة.

وكان (زيد بن عمرو) يعمل على إحياء الموءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: مَهْ لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤنتها [١]. وكان يعيب على قريش، ويقول: الشاه خلقها الله، وأنزل لها من السماء وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله ؟! وحتى نسعد بتلك السيرة العطرة فتعالوا بنا لنرى كيف كان حال (زيد بن عمرو) وما هي قصته لنعرف كيف خرجت تلك الثمرة من أغصان هذه الشجرة المباركة.

عباد الله: لقد اجتمعت قريش يومًا في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له، ويعكفون عنده، ويدورون به، وكان ذلك عيد آلهم في كل سنة يومًا، فخلص منهم أربعة (نفر) نجيًّا [٢]، ثم قال بعضهم لبعض، تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض، قالوا أجل وهم ورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل، فقال بعضهم لبعض: تعلمُوا والله ما قومكم على شيء! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ! ما حجر نطيف به، لا يسمع ولا يُبصر ولا يضر ولا ينفع ؟! يا قوم التمسوا لأنفسكم (دينًا) فإنكم والله ما أنتم على شيء، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية، دين إبراهيم. فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علمًا من أهل الكتاب. وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ومع امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة، فلما قدمها تنصر، وفارق الإسلام حتى هلك هنالك

---

(١) أخرجه البخاري معلقا (٣٨٢٨).

(٢) النجي: جماعة يتحدثون سرًا يخفون حديثهم عن غيرهم.

نصرانيًا، وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصَّر وحسنت منزلته عنده، وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تُذبح على الأوثان، ونهى عن قتل الموءودة، وقال أعبدُ ربَّ إبراهيم وبادى قومه بعيب ما هم عليه. وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفيل شيخًا كبيرًا مسندًا ظهره إلى الكعبة وهو يقول : يا معشر قريش، والذي نفس زيد بن عمرو بيده، ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أيَّ الوجوه أحبَّ إليك عبدتك به، ولكني لا أعلمه، ثم يسجد على راحته.

قال ابن إسحاق: وحُدِّثت أن ابنه، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمر بن الخطاب وهو ابن عمَّه قالا لرسول الله ﷺ: أنستغفرُ لزيد بن عمرو؟ قال: **نعم فإنه يبعث أمة وحده** [1].

وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه، وما كان لقي منهم في ذلك:

أربًّا واحدًا أم ألف ربٍّ ∴ أدينُ إذا تُقُسِّمتِ الأمورُ ؟
عزلتُ اللات والعُزَّى جميعًا ∴ كذلكَ يفعلُ الجلدُ الصبورُ
فلا العزى أدينُ ولا ابنتيها ∴ ولا صنَمَي بني عمرو أزورُ
ولا هُبلًا أدينُ وكان ربًّا ∴ لنا في الدهر إذ حِلمي يسيرُ
عجبتُ وفي الليالي معجباتٌ ∴ وفي الأيام يعرفها البصيرُ
بأن الله قد أفني رجالًا ∴ كثيرًا كان شأنهم الفجورُ
وأبقى آخرين ببرِّ قوم ∴ فيزبلُ [1] منهم الطفل الصغيرُ

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٦٤٨)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

وبنا المرء يفتر [٢] ثاب [٣] يومًا ∴ كما يتروح [٤] الغصن المطيرُ

ولكن أعبد الرحمن ربِّي ∴ ليغفر ذنبي الربُّ الغفورُ

فتقوى الله ربكم احفظوها ∴ متى ما تحفظوها لا تبوروا

ترى الأبرار دارهم جنانٌ ∴ وللكفَّارِ حامية سعيرُ

وخزيٌ في الحياة وإن يمُوتُوا ∴ يُلاقُوا ما تضيق به الصدورُ

وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم ﷺ فكانت صفية بنت الحضرمي كلما رأته قد تهيأ للخروج وأراد آذنت بن الخطاب بن النفيل. وكان يعاتبه على فراق دين قومه. وكان الخطاب قد آذي زيدًا حتى أخرجه إلى أعلى مكة، فنزل حراء مقابل مكة، ووكل به الخطاب شابًّا من شباب قريش وسفهائهم فقال لهم لا تتركوه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلَّا سرًّا منهم فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم، وأن يتابعه أحدٌ منهم على فراقه، ثم خرج يطلبُ دين إبراهيم عليه السلام، ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها، ثم أقبل فجال الشام كله، حتى انتهى إلى راهب بميفعة [٥] من أرض البلقاء [٦] كانت ينتهي إليها علم أهل النصرانية.

فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم، فقال: إنك لتطلب دينًا ما أنت

---

(١) يزبل: إذا شب وكبر.

(٢) يفتر: أي سكن بعد حدته.

(٣) وثاب: رجع.

(٤) يتروح: يهتز ويحتفر وينبت ورقه بعد سقوطه.

(٥) بميفعة: أصل الميفعة الموضع المرتفع من البقاع.

(٦) البلقاء: كورة في دمشق.

بواجد من يحملك عليه اليوم، ولكن قد أظل زمانُ نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها، يبعثُ بدين إبراهيم الحنيفية، فالحق بها، فإنه مبعوثٌ الآن، هذا زمانه، وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئًا منهما فخرج سريعًا حين قال له ذلك الراهبُ ما قال، يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه[1]. وفي آخر رمق من حياته رفع بصره إلى السماء وقال اللهم إن كنت حرمتني من هذا الخير فلا تحرم منه ابني (سعيدًا) واستجاب الله دعوته المباركة فكان ابنه سعيد من السابقين إلى الدخول في الإسلام فقد أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران للكافرين والمنافقين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين. وبعد.

لقد تحمل سعيد بن زيد رضي الله عنه نصيبًا من العذاب بسبب إسلامه. فعن قيس ابن حازم قال: سمعت سعيد بن زيد يقول للقوم: لو رأيتني موثقي عمر[2] على الإسلام أنا وأخته، وما أسلم ولو أن أحدًا أنقض لما صنعتم بعثمان لكان محقوقًا أن ينقض[3]؛ يعني قبل أن يسلم عمر، قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٧٦): وقال الدودي: معناه لو تحركت القبائل وطلب بثأر عثمان لكان أهلًا لذلك وفي هذا الحديث أفضلية سعيد بن زيد وأسبقيته هو وزوجته رضي الله عنهما إلى الإسلام) وأسلمت مع سعيد زوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب، وجعلهما الله سبباً فى إسلامه – وإن كان السبب الأساسي فى إسلام عمر رضي الله عنه هو دعوة

(١) السيرة لابن هشام (١/ ١٩: ١٩٨) بتصرف.
(٢) أي عمر موثق سعيد بن زيد.
(٣) أخرجه البخاري (٣٨٦٧).

النبي ﷺ عندما قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب»[١]. وكان أحبهما إليه عمر.

عباد الله: ولسعيد بن زيد منقبة عظيمة فقد روى سعيد بن زيد - أن النبي ﷺ قال: «أسكن حراءُ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد». وعليه النبي وأبو بكر وعمر، وعثمان وعلى وطلحة والزبير، وسعد، وعبد الرحمن، وسعيد بن زيد[٢].

عباد الله: وها هو سعيد بن زيد يستجيب الله دعاءه عندما ظلم وهذه القصة تُهدى إلى كل ظالم على وجه الأرض ومعها قول الله - جل وعلا-: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[الشعراء:٢٢٧]، وقوله تعالي: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[إبراهيم:٤٢]

عن هشام بن عورة عن أبيه أن أروى بنت أويس ادَّعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئًا من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيدٌ: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبرًا من الأرض ظُلمًا طَوَّقه إلى سبع أرضين» فقال له مروان: لا أسألك بنيةً بعد هذا فقال: اللهم إن كانت كاذبة فعم - فأعم- بصرها وأقتلها فى أرضها. قال فما ماتت حتى ذهب بصرها ثم بينا بينما هي تمشي في أرضها إذا وقعت فى حفرة فماتت[٣].

أما جهاد سعيد بن زيد ﷺ فى سبيل الله فلقد شهد المشاهد كلها ما خلا بدرًا وذلك لأن النبي ﷺ كان قد أرسله فى مهمة، فلما عاد وجد النبي ﷺ عائدًا من الغزوة فضرب له النبي ﷺ بسهمه، فكان كمن شهدها. وما زال يشهد المشاهد بعد وفاة الرسول ﷺ يبحث عن الشهادة فى سبيل الله ولا يرضى عنه بديلًا.

---

(١) رواه الترمذي عن ابن عمر وصححه الألباني فى صحيح الترمذي (٢٩٠٧).
(٢) قال الأرنؤوط: رواه أحمد (١/ ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩) وأبو داود بإسناد صحيح (٤٦٤٨) بإسناد صحيح.
(٣)(أخرج مسلم (١٢١٣).

وكان سعيد بن زيد رضي الله عنه قائد الفرسان يوم أجنادين، وكان من أشد الناس، وهو الذي أشار إلى خالد ببدء القتال يوم أجنادين لما رمى الروم المسلمين بالنشاب، فصاح سعيد بن زيد بخالد قائلًا : «علام نستهدف لهؤلاء الأعلاج، وقد رشقونا بالنِّشاب حتى شمست الخيل؟! - أي امتنعت ظهورها من الركوب - فأقبل خالد إلى خيل المسلمين وقال لهم أحملوا - رحمكم الله - على اسم الله - وحمل خالدٌ على الروم. وحمل المسلمون معه بأجمعهم وصبروا مختارين لهجوم الروم عليهم مرتين.. على مينتهم مرة، ثم على ميسرتهم، ثم صبروا لرشق نبالهم وانطلق جيش المسلمين إلى الروم، فما صبر الروم لهم فواقًا[1] وانهزموا هزيمةً شديدة وقتلهم المسلمون كيف شاءوا، وأصابوا معسكرهم وما حوي. وعند الطبري عن ابن إسحاق: فلما رأى قائد جيش الروم ما رأى من قتال المسلمين قال للروم: لُفُّوا رأسي بثوب. قالوا: لم؟ ، قال: يوم البئيس، لا أحب أن أراه، ما رأيت فى الدنيا يوم أشد من هذا فاحتزَّ المسلمون رأسه، وإنه لمُلَفَّفٌ.

عباد الله: وأما فى معركة اليرموك فقد سجل فيها سعيد بن زيد أروع بطولاته قال سعيد بن عمرو بن نُفيل: لما كان يوم اليرموك كنا أربعًا وعشرين ألفًا أو نحوًا من ذلك فخرجت لنا الروم بعشرين ومائة ألف، وأقبلوا علينا بخطى ثقيلة كأنهم الجبال تحركها أيد خفيةٌ وسار أمامهم الأساقفة والبطارقة والقسيسون يحملون الصلبان وهم يجهرون بالصلوات، فيرددها الجيش من ورائهم ولهم هزيم كهزيم الرعد، فلما رآهم المسلمون على حالهم هذه هالتهم كثرتهم، وخالط قلوبهم شيء من خوفهم عند ذلك قام أبو عبيدة بن الجراح يحض المسلمين على القتال فقال عباد الله، أنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم عباد الله ، اصبروا: فإن الصبر منجاةٌ من الكفر ومرضاة للرب، ومدحضه للعار وأشرعوا الرماح، واستتروا بالتروس والزموا الصمت إلا من ذكر الله - عز وجل - فى أنفسكم، حتى آمركم إن شاء الله، قال سعيد: عند ذلك خرج رجل من صفوف المسلمين وقال لأبي عبيدة:- إني

---

(١)الفواق ما بين الحلبتين من الوقت. والمراد الزمن القصير.

أزمعتُ على أن أقضي أمري الساعة، فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول الله ﷺ؟ (أي عزمت) (أي أموت فى هذه الساعة) فقال أبو عبيدة: نعم تقرئه منى ومن المسلمين السلام، وتقول له: يا رسول الله، إنا وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقًّا قال سعيد: فما إن سمعتُ كلامه ورأيته يمتشق حسامه ويمضي إلى لقاء أعداء الله حتى اقتحمت إلى الأرض : رميت نفسي بشدة على الأرض، وجثوتُ على ركبتي وأشرعت رمحي وطعنت أول فارس أقبل علينا ثم وثبت على العدو وقد انتزع الله كل ما في قلبي من الخوف فثار الناس فى وجوه الروم، وما زالوا يقاتلونهم حتى كتب الله للمؤمنين النصر، قال حبيب بن سلمة: اضطرنا يوم اليرموك إلى سعيد بن زيد، فلله درُّ سعيد ما سعيد ! يومئذٍ إلا مثلُ الأسد، لما نظر إلى الروم وخافها، اقتحم إلى الأرض وجثا على ركبته، حتى دنوا منه وثب فى وجوههم مثل الليث فطعن برابته أول رجل من القوم فقتله، وأخذ والله - يقاتل راجلًا - قتال الرجل الشجاع البأس - فارسًا، ويعطفُ الناس إليه [1].

عباد الله: وبعد تاريخ حافل بالعطاء والتضحية والجهاد فى سبيل الله رحل سعيد بن زيد رضي الله عنه عن دنيا الناس إلى جنة الرحمن فهو من العشرة المبشرين بالجنة. وتوفي بالعقيق فَحُمِلَ إلى المدينة ودُفِنَ بها وغسَّله سعد بن أبي وقاص ونزل فى قبره سعد وابن عمر، وذلك فى سنة خمسين أو إحدى وخمسين وكان يوم أن مات ابن بضعٍ وسبعين سنة فرضي الله عن سعيد وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم انصر الإسلام وأهله، وأخذل الشرك وأهله، اللهم عليك بالصليبين، اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم واجعل الدائرة عليهم، اللهم ول أمور المسلمين خيارهم ولا توليها شرارهم يا رب العالمين! اللهم انصر إخواننا فى فلسطين وفى العراق وفى أفغانستان وفى كل مكان! اللهم أحقن دماء المسلمين - واستر عوراتهم واكس عاريهم وأطعم جوعاهم وأسق عطشاهم، اللهم أصلح الراعي والرعية، وأصلح لهم البطانة إنك سميع الدعاء - وقوموا إلى صلاتكم.

---

(١)(تاريخ ابن عساكر (١/ ٥٤١).

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة، وفاتح بلاد الشام.

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لكل أمة أمينًا، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح**»(١).

قال العلماء: والأمانة مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة، لكن النبي ﷺ خص بعضهم بصفات غلبت عليهم، وكانوا بها أخص(٢).

(١) «مسلم بشرح النووي» (١٥/ ٢٧٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩).

وقال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:والأمين هو الثقة الرضي وهذه الصفة إن كانت مشتركة بينه وبين غيره لكن السياق يُشعر بأن له مزيدًا فى ذلك، لكن خص النبي ﷺ كل واحد من الكبار بفضيلة ووصفه بها، فأشعر بقدر زائد فيها على غيره، كالحياء لعثمان، والقضاء لعلي ونحو ذلك[1].

وها نحن على موعد مع أمين هذه الأمة، أول من لقب بـ«أمير الأمراء» إنه أحد السابقين الأولين ومن عزم الصِّدِّيق على توليته الخلافة وأشار به يوم السقيفة لكمال أهليته عند أبي بكر، يجتمع فى النسب هو والنبي ﷺ في فهر (اسم جده) شهد له النبي ﷺ بالجنة، وسماه أمين الأمة ومناقبه شهيرة جمة.

أما عن إسلامه ﷺ ففي تلك اللحظة التاريخية التي أسلم فيها أبو بكر ﷺ خرج يدعو إلى الله ليأخذ بأيدي الناس من حوله إلى جنة الرحمن - جل وعلا - فكان من جملة من أسلموا علي يديه «أبو عبيدة بن الجراح» ﷺ فكان بذلك ممن أسلموا مبكرًا قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم. وكان ممن هاجروا إلى الحبشة الهجرة الثانية.

وذلك بعد أن أعلنت قريش العداء على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه ﷺ فهاجر أبو عبيدة مع من هاجر إلى الحبشة.

وعلى الرغم من الحفاوة البالغة التي قابلهم بها النجاشي (ملك الحبشة) إلا أن أبا عبيدة كان لا يتحمل أبدًا أن يبتعد عن حبيبه ﷺ فإن رؤية النبي ﷺ والجلوس معه والتعلم على يديه، والاقتباس من هديه وأخلاقه لا يعدله أي نعيم ولا أي متاع فى الدنيا بأسرها. فسرعان ما عاد مرة أخرى إلى مكة مع إخوانه المهاجرين الذين وصل إلى مسامعهم تلك الإشاعة الكاذبة (بإسلام أهل مكة) وما أن اقتربوا على أبواب مكة حتى علموا الحقيقة المؤلمة، وعلموا أن قريشًا تنتظر رجوعهم لتسلط عليهم ألوانًا من العذاب لا تخطر ببالهم. ولم يدم بقاء «أبي عبيدة» بمكة طويلًا حتى أذن

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ١١٧).

النبي ﷺ له ولأصحابه بالهجرة إلى المدينة (يثرب) لتكون هذه المدينة هي القاعدة المباركة التي تقوم على أرضها للإسلام دولة تخرج للكون كله نماذج من الرجال والأبطال الذين تربوا بين يدي الحبيب ﷺ الذي ربَّاه الله - جل وعلا - ليربي به الأمم والأجيال عبر العصور والأزمان.

وشاهدت الطريق الممتدة إلى المدينة فارسًا يطلق العنان لراحلته لتسابق الريح وتطوي الأرض تحت أقدامها طيًّا حتى يلحق بالعصبة المؤمنة الفارة بدينها، ولم يكن هذا الفارس سوى أبي عبيدة بن الجراح الذي وقف أمام الرسول ﷺ ووجهه لا يكاد يعرف من كثرة ما تراكم عليه من رمال الصحراء وعناء الطريق، فاستقبله الرسول ﷺ وهش لمقدمه، وآخى بينه وبين سعد بن معاذ ﷺ[1].

ولقد علَّم أبو عبيدة ﷺ الأمة بأسرها درساً فى الولاء والبراء يوم بدر، ففي هذه الغزوة قاتل أبو عبيدة ﷺ قتالًا شديدًا حتى كان المشركون يبتعدون عن البقعة التي يقاتل فيها، ولكن هناك فارس يتصدى له كثيرًا وأبو عبيدة يحيده عنه فلما أكثر الرجل من التصدي لأبي عبيدة هجم عليه كالأسد الضاري، فقتله شر قتلة!.

أتدرون من هو المقتول؟!

إنه والد أبي عبيدة.

وأنزل الله فى شأنه وشأن أبيه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢].

قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: أنزلت هذه الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

(١) «ر جال أنزل الله فيهم قرآنًا» د. عبد الرحمن عميرة (٣/ ٣٤).

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ إلى آخرها فى أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر، ولهذا قال عمر بن الخطاب ﷺ حين جعل الأمر شوري بعده فى أولئك الستة ﷺ ولو كان أبو عبيدة حيًّا لاستخلفته[1].

فيا له من موقف عظيم لأبي عبيدة يلقن فيه الدنيا كلها درسًا عظيمًا ليعلموا أن الولاء إنما يكون لله ولرسول الله ﷺ وللمؤمنين وأن البراء لابد أن يكون من أعداء الله - جل وعلا - فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]

وأما عن دفاع أبي عبيدة بن الجراح عن النبي ﷺ يوم (أُحد) ففي ذلك اليوم لما عصى الرُّماة أمر رسول الله ﷺ فانكشف المسلمون وأجهز عليهم المشركون، فأصابوا منهم ما أصابوا، وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ وأرادوا قتله والتمثيل بجثته.

عن أنس بن مالك قال: كُسِرَتْ رباعية النبي ﷺ يوم أحد، وشُجَّ فى وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول: «كيف يُفْلح قومٌ خضَّبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم» فأنزل الله عز وجل فى ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨] [2].

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٢٩).

(٢) أخرجه البخاري فى «المغازي» (٧/ ٤٢٢) معلقًا.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

فى يوم أُحد كانت أحرج ساعة بالنسبة إلى حياة رسول الله ﷺ وفرصة ذهبية بالنسبة إلى المشركين ولم يتوان المشركون فى انتهاز تلك الفرصة، فقد ركزوا حملتهم على النبي ﷺ وطمعوا في القضاء عليه، رماه عتبة بن أبي وقاص بالحجارة، فوقع لشقِّه وأصيبت رباعيته اليمنى السفلى، وكلمت شفته السفلي،وتقدم إليه عبد الله بن شهاب الزهري فشجه فى جبهته وجاء فارس عنيد هو (عبد الله بن قمئة) فضرب على عاتقه بالسيف ضربة عنيفة شكا لأجلها أكثر من شهر، إلَّا أنه لم يتمكن من هتك الدرعين ثم ضرب على وجنته ﷺ ضربة أخري عنيفة كالأولى، حتى دخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته، وقال: خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله ﷺ له، وهو يمسح الدم عن وجهه: «أقمأك الله» وقد سمع الله دعاء رسول الله ﷺ فعند ابن عائذ فى «المغازي» أن ابن قمئة انصرف إلى أهله، فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل، فدخل فيها، فشد عليه تيسها، فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل، فتقطع[1].

وكان أبو عبيدة ﷺ ممن ثبتوا مع النبي ﷺ وأبلى يوم أُحد بلاءً حسنًا، ونزع يومئذ الحلقتين اللتين دخلتا من المِغْفَر فى وجنة رسول الله ﷺ من ضربة أصابته، فانقلعت ثنيَّتاه فحسن ثغره بذهابهما حتى قيل: ما رؤي هَتْمٌ قطُّ أحسنُ من هَتْمِ أبي عبيدة[2].

فانظر- رحمك الله- كيف بلغ الأدب بأبي عبيدة، لا ينزع حلقتي المغفر بيده لئلا يؤذي رسول الله ﷺ بل ينزعهما بفمه حتى سقطت ثنيتاه.

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٦٦، ٣٧٢).

(٢) «الطبقات» (٣/ ٢٩٨).

وظل أبو عبيدة ﷺ يشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ويثبت ثبات الجبال وهو يحمل إيمانًا لا تعصف به الرياح ولا تزعزعه الأعاصير وكان النبي ﷺ يحبه حبًّا جمًّا، بل ويفتخر به كل الفخر.

عن عبد الله قال: سألت عائشة: أي أصحاب رسول الله ﷺ كان أحب إليه؟ قالت: أبو بكر، ثم عمر، ثم أبو عبيدة بن الجراح[1].

بل قال ﷺ: «**نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح**»[2].

ولقد ظهر تواضعه ﷺ وعدم حرصه على الإمارة في تلك السرية - ذات السلاسل - ولا أقصد بذلك أنه لم يتواضع في غيرها، ولكن الموقف هنا كان يدعونا للوقوف أمامه لنتعلم هذا الدرس العظيم ألا وهو: أن المؤمن عليه أن يعمل لخدمة دينه وإن لم يكن ظاهرًا أمام الناس، وذلك لأنه لابد أن يبتغي بعمله هذا وجهه الله تعالى.

لقد بعث الحبيب ﷺ عمرو بن العاص إلى أرض «بَلِّى» و «وعذرة» ليدعو الناس إلى الإسلام، وكانت أم عمرو من «بَلِّى» فَتَأَلَّفُهُمْ بذلك رسول الله ﷺ فسار عمرو حتى إذا كان على ماء بأرض جذام، يقال له: السلسل، وبذلك سميت تلك الغزوة، غزوة ذات السلاسل، فلما كان عليه خاف، فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمدُّهُ -يطلب مددًا - فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح من المهاجرين الأولين، فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبي عبيدة حين وجهه: «لا تختلفا» فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه، قال له عمرو: إنما جئت مددًا لي، قال أبو عبيدة: لا ولكني على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه، وكان أبو عبيدة رجلًا لينًا سهلًا هينًا عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مددٌ لي، فقال أبو عبيدة: يا عمرو، إن رسول الله ﷺ قال لي: «لا تختلفا» وإنك إن عصيتني أطعتُك، قال: فإني الأمير عليك، وأنت

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢).

(٢) «الصحيحة» (٢/ ٩٦٢) للشيخ الألباني.

مدد لي، قال: فدونك فصلى عمرو بالناس[1].

أما عن سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر - والرزق الذي ساقه الله إليهم، فعن عبادة بن الصامت، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى سيف البحر، عليهم أبو عبيدة بن الجراح، وزودهم جرابًا من تمر، فجعل يقوتهم إياه حتى صار إلى أن يَعُدَّهُ عليهم عددًا، قال: ثم نفد التمر حتى كان يعطي كل رجل منهم كل يوم تمرة، قال: فقسم يومًا بيننا قال: فنقصت تمرة عن رجل، فوجدنا فقدها ذلك اليوم، قال: فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر، فأصبنا من لحمها وودكها وأقمنا عليها عشرين ليلة حتى سمنَّا وابتللنا وأخذ أميرنا ضلعًا من أضلاعها فوضعها على طريفة ثم أمر بأجسم بعير معنا، فحمل عليه أجسم رجل منَّا، قال: فجلس عليه، قال: فخرج من تحتها وما مسَّت رأسه، قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها، وسألناه عما صنعنا في ذلك من أكلنا إياه، فقال: «رزق رزقكموه الله»[2].

عباد الله: ولما جاء وفد نجران إلى الحبيب ﷺ كانت هناك منقبة عظيمة لأبي عبيدة ﷺ إذ صرح رسول الله ﷺ بأنه أمين هذه الأمة، لما نزل الوفد المدينة، ولقي النبي ﷺ سألهم وسألوه، ثم دعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وسألوه عما يقول في عيسي - عليه السلام - فمكث رسول الله ﷺ يومه حتى نزل عليه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[آل عمران:٥٩: ٦١].

ولما أصبح رسول الله ﷺ أخبرهم بقوله في عيسى ابن مريم في ضوء هذه الآية الكريمة، وتركهم ذلك اليوم، ليفكروا في أمرهم، فأبوا أن يقروا بما قال في عيسى،

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣٦٦٢، ٤٣٥٨/ فتح)، ومسلم (٤/ ٨/ ١٨٥٦).
(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٣٥/ ١٧، ١٨).

فلما أصبحوا وقد أبوا ما عرض عليهم من قوله في عيسى، وأبوا عن الإسلام دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة، وأقبل مشتملًا على الحسن والحسين فى خميل له، وفاطمة تمشي عند ظهره، فلما رأوا منه الجد والتهيؤ خلوا وتشاوروا، فقال كل من العاقب والسيد للآخر: لا تفعل فوالله لئن كان نبيًا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، فلا يبقى على وجه الأرض منا شعرة ولا ظفر إلا هلك ثم اجتمع رأيهم على تحكيم رسول الله ﷺ فى أمرهم فجاءوا وقالوا: إنا نعطيك ما سألتنا، فقبل رسول الله ﷺ منهم الجزية، وصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب وألف في صفر، ومع كل حلة أوقية، وأعطاهم ذمة الله وذمة رسوله وترك لهم الحرية الكاملة في دينهم وكتب لهم بذلك كتابًا، وطلبوا منه أن يبعث عليهم رجلًا أمينًا، فبعث عليهم أمين هذه الأمة «أبا عبيدة بن الجراح» ليقبض مال الصلح[1].

وفي رواية قالوا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلًا أمينًا ولا تبعث معنا إلا أمينًا فقال: «لأبعثن معكم رجلًا؟ أمينًا حق أمين»، فاستشرف له أصحاب ﷺ فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح» فلما قام قال: رسول الله ﷺ «هذا أمين هذه الأمة»[2].

اللهم ألحقنا بالصالحين واجعلنا من ورثة جنة النعيم ، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم أصلح الراعي والرعية، اللهم اجعل لهم بطانة صالحة تعينهم على الحق إنك سميع الدعاء، اللهم عليك بالصليبيين وكافة أعداء الدين، اللهم مزق جمعهم، وشتت شملهم، وأجعل الدائرة عليهم إلى يوم الدين، اللهم أنصر إخواننا في فلسطين، وانصرهم فى العراق، وانصرهم في أفغانستان، وانصرهم في كل مكان إنك على كل شيء قدير، وقوموا إلى صلاتكم .

(١) أخرجه البخاري(٤٣٨٠)، ومسلم (٥٥)(٢٤٢٠).
(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٦٩٥) «المغازي».

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثانية عن الصحابي الجليل أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح رضي الله عنه والحديث يدور أولًا عن صور مشرقة من جهاده في سبيل الله تعالى.

عباد الله: لقد ظل أبو عبيدة ملازمًا للعبادة والطاعة والدعوة إلى الله تعالى، بل وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ حتى توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ.

وكما عاش أبو عبيدة مع الرسول ﷺ أمينًا، عاش بعد وفاة الرسول ﷺ أمينًا، يحمل مسئولياته في أمانة تكفي أهل الأرض لو اغترفوا منها جميعًا[1].

(١) «رجال حول الرسول» (ص٢٦٢).

ولو لم يكن له إلا موقفه فى سقيفة بني ساعدة لكفاه، وهو يجمع شمل المسلمين على أبي بكر

ولقد سار تحت راية الإسلام أنى سارت جنديًا، كأنه بفضله وبإقدامه الأمير، وأميرًا كانه بتواضعه وبإخلاصه واحدًا من عامة المقاتلين.

ولاه أبو بكر القيادة العامة في أرض الشام، فاستعفاه أبو عبيدة من ذلك، ولكنَّ أبا بكر أصر على رأيه، فلما تحرَّجَ موقف المسلمين في أرض الشام واجتمعوا باليرموك، ولى أبو بكر خالدًا منصب القيادة العامة فى الشام بدلًا من أبي عبيدة الذي بقي على جند (حمص) ولكن عمر بن الخطاب أعاده إلى منصب القيادة العامة بعد وفاة أبي بكر، وكان يقول عنه: لا أمير على أبي عبيدة. وصير خالدًا موضع أبي عبيدة، وذلك في أثناء حصارهم لدمشق الذي لم يتم فتح دمشق فيه، وكتم أبو عبيدة هذا الخبر فى نفسه، طاويًا عليه صدر زاهد فطن، أمين. حتى انتهت المعركة، وعلم خالد بأمر عزله، فأقبل حتى دخل على أبي عبيدة، فقال: يغفر الله لك أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمني، وأنت تصلي خلفي، والسلطان سلطانك؟! فقال أبو عبيدة: وأنت يغفر الله لك، ما كنت لأعلمك ذلك حتى تعلمه من عند غيري، وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله، ثم قد كنت أعلمك إن شاء الله، وما سلطان الدنيا أزيد، وما للدنيا أعمل، وإنَّ ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوان وقوامٌ بأمر الله – عز وجل – وما يضر الرجل أن يلي على أخيه في دينه ولا دنياه، بل يعلم الوالي أنه يكاد أن يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما في الخطيئة لما يعرض من الهلكة إلا من عصم الله – عز وجل– وقليل ما هم لمثل هذا كان الأمراء والفرسان يؤثرون قيادته على قيادة غيره.

فهذا خالد بن سعيد يتجهز بأفضل العُدَّة ويأتي لأبي بكر قائلًا له ولمن كان عنده: «إني أشهدكم أني وإخواتي وفتياني ومن أطاعني من أهلي حبيس في سبيل الله، نقاتل المشركين أبدًا حتى يهلكهم الله أو نموت عن آخرنا» . وينضم إلى جيش أبي عبيدة،

ولا يـ سم إلى جيش ابن عمه يزيد بن أبي سفيان، ولما يسأل عن ذلك يقول: ابن عمي أحبُّ إليّ من هذا في قرابته، وهذا أحب إليّ من ابن عمي في دينه، هذا كان أخي في ديني على عهد رسول الله ﷺ ووليي وناصري على ابن عمي قبل اليوم، وأنا أشد استئناسًا إليه وأشد طمأنينة مني بغيره، ويفضله هاشم بن عتبة على يزيد.

ويصبح أبو عبيدة أمير الأمراء بالشام، ويصير تحت إمرته أكثر جيوش الإسلام طولًا وعرضًا عتادًا وعددًا، وحين ترامى إلى سمعه أحاديث أهل الشام عنه، وانبهارهم بأمير الأمراء هذا، قام فيهم خطيبًا، فقال لمن يفتنون بقوته، وعظمته وأمانته: يا أيها الناس إني مسلم من قريش، وما منكم من أحد - أحمر ولا أسود - يفضلني بتقوى إلا وددت أني في إهابه أو مسلاخه. يعني في جلده. حياك الله يا أبا عبيدة، وحيا الله دينًا أنجبك ورسولًا علمك

ولئن كانت شهرة خالد بن الوليد الحربية سبقته إلى أهل الردة وإلى العراق وإلى الشام، فتحدث عنها العدو والصَّدِيق، فإن شهرة أبي عبيدة في الحلم والرفق، وسعة الصدر والأمانة والصدق، وحب السلام قد سبقته كذلك إلى أهل الشام؛ لذلك أحبوه ويسروا له مهمته، وكان من أثر ذلك أن كثر تسليم مدن الشام له صلحًا، وبذلك حقنت كثير من الدماء، واطمأنت كثير من النفوس.

لقد كان أبو عبيدة قائدًا مُتبعًا يتلقى الأوامر وينفذها بكل أمانة وإخلاص، وقد بقي بعد معركة اليرموك في مَوضعه لا يبرحه حتى أتاه رأي عمر وأمره؛ وهذا دليل على شدة ضبط أبي عبيدة وإيمانه بضرورة إطاعة أوامر مرجعه الأعلى.

ولعل هناك من يأخذ على أبي عبيدة تريثه الشديد قبل الإقدام على خوض معركة من معاركه، ويرد على هذه الفرية كبار الفرسان، فقد بلغ معاذ بن جبل أنَّ بعض أهل الشام استعجز أبا عبيدة أيام حصار دمشق، ورجح خالد بن الوليد، فغضب مُعاذ، وقال: يا أبا عبيدة يُظَنُّ؟! والله إنه لمن خير من يمشي على الأرض[1].

---

(١) «الإصابة» (٤/ ١٢).

ولقد كان ﷺ من القادة الذين يستشيرون رجالهم في كل خطوة يخطونها، وعندما تحشَّدَ الروم لاستعادة أرض الشام، استشار أصحابه، فأشار عليه الأكثرية بقبول الحصار في «حمص» أما خالد فأشار عليه بالهجوم على جموع الروم، ولكن أبا عبيدة أخذ برأي الأكثرية. وكان ﷺ مهيبًا مؤثرًا في نفوس رجاله حين كان يتجول في معسكراتهم وهو يقول: ألا رب مبيض لثيابه وهو مدنسٌ لدينه، ألا رُبَّ مكرم لنفسه وهو لها مهين غدًا! ادفعوا السيئات القديمات بالحسنات الحادثات[1].

وعن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: بلغ عمر أن أبا عبيدة حصر بالشام ونال منه العدو، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه ما نزل بعبد مؤمن شدة إلا جعل الله بعدها فرجًا، وإنه لا يغلب عُسر يسرين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:٢٠٠] قال فكتب إليه أبو عبيدة: أما بعد، فإن الله يقول: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠] قال: فخرج عمر بكتابه، فقرأه على المنبر فقال: يا أهل المدينة إنما يعرض بكم أبو عبيدة أو بي أرغبوا في الجهاد[2].

أما جهاد أبو عبيدة في (فحل) وفتحها فلقد كانت له فكرة إستراتيجية – ممتازة؛ فقد بعث بعض القوات لمشاغلة قوات الروم في (فحل) بينما حاصر هو دمشق حتى فتحها، ثم قصد (فحل) بقواته كلها، ولولا ذلك لكان من المحتمل أن تتعاون القوتان المعاديتان في (فحل) و(دمشق) على مقاومة المسلمين في وقت واحد. كما أرسل خالدًا على رأس جيش لضرب الجيش الرومي الذي كان متوجهًا إلى دمشق مما أدى إلى فشل هذا الجيش في مهمته؛ لأنه أصبح يقاتل في جبهتين في آن واحد، من

---

(١) نقلًا من «صلاح الأمة في علوّ الهمة» د: سيد حسين (ص:٥١٠: ٥١٣) بتصرف.
(٢) أورده ابن المبارك في «الجهاد»، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي ورجاله ثقات نقلًا من «السير» للإمام الذهبي (١/ ١٥-١٦).

الأمام يقاتل جيش يزيد بن أبي سفيان، ومن الخلف يقاتل جيش خالد بن الوليد.

أما جهاد أبو عبيدة في (اللاذقية) وفتحها فلله دره؛ فقد كان يباغت قوات عدوه، فقد سار أبو عبيدة إلى (اللاذقية) وكان لها باب عظيم لا يمكن فتحه إلا بجماعة كبيرة من الناس، فعسكر المسلمون على بُعد منها ثم أمر فحفرت حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكبًا، ثم أظهر المسلمون أنهم عائدون عنها ورحلوا، فلما أظلم الليل عادوا واستتروا في تلك الحفائر، وأصبح أهل اللاذقية وهم يرون أن المسلمين قد انصرفوا عنهم فأخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد فلم يرعهم إلا والمسلمون يصيحون بهم ، ودخلوا معهم المدينة ففتحوها عنوة[1].
قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

الحمد لله ولي الصالحين ناصر الموحدين من المؤمنين، ولا عدوان إلا على الظالمين المشركين والمنافقين والعاقبة للمتقين، والمذلة والخزي لكافة أعداء الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

عباد الله: قام أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بدعوة الرومين إلى الإسلام قبل بدء القتال معهم، فقد ذهب بنفسه ومعه يزيد بن أبي سفيان وضرار بن الأزور والحارث بن هشام وأبو جندل بن سهيل إلى القائد الرومي أخي الملك تذراق ودعوه إلى الله عز وجل، وكان ذلك قبل معركة اليرموك[2].

كما دعا أبو عبيدة رضي الله عنه الرسول الرومي الذي وفد إليه من قبل «ماهان» - وزير

---

(١) ابن الأثير (٢/ ١٩٠).
(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٩-١٠).

ملك الروم- طالبًا منه إرسال خالد بن الوليد ﷺ إلى «ماهان» كي يتفاهم معه، وشرح الله صدره للإسلام فاستجاب لدعوة أبي عبيدة ﷺ وصاح اشهدوا عليّ بأجمعكم أني من المسلمين ففرح المسلمون بإسلامه وصافحوه، ودعوا له بخير، وقالوا له: ما أعزك علينا، وأرغبنا فيك وأكرمك علينا! وما أنت عند كل امرئ منَّا إلا بمنزلة أخيه لأمه وأبيه، قال الرومي: فإنكم نِعْمَ ما رأيت. وكان هذا قبل معركة فحل[1].

ومن خصال أبي عبيدة الحميدة التجرد والإنصاف وحقق بذلك نجاحًا باهرًا فلقد كانت معارك التطهير واستثمار فوز اليرموك أكبر المعارك التي أظهرت مقدرة أبي عبيدة الفذَّة، فقد فضَّل أبو عبيدة التخلي عن القيادة العامة فى معركة اليرموك الحاسمة لخالد بن الوليد، ولكنَّ أبا عبيدة عاد إلى تولي القيادة العامة بعد اليرموك، فخاض معارك التطهير بنجاح باهر يكاد يعتبر معجزة عسكرية إذا أدخلنا فى حسابنا تفوق الروم الساحق على المسلمين وسرعة إنجاز الفتح وقلة الخسائر بالأرواح التي ضحى بها المسلمون من أجل فتح البلاد كلها[2].

لله در أبي عبيدة، من قاهر للروم وما أدراك ما الروم؛ بنو الأصفر حد حديد وركن شديد ومسك الختام فلسطين «إيلياء» بيت المقدس حاصرها حتى طلب أهلها من أبي عبيدة أن يصالحهم على مثل ما صالح عليه أهل الشام، وأن يكون المتولي لعقد الصلح عمر بن الخطاب فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك فقدم عمر وفتح بيت المقدس.

ترى ماذا يقول أبو عبيدة، لكأني به ينادي من وراء الغيب هل فتحنا فلسطين ليسلمها أحفادنا لليهود؟ واحسرتاه! واأسفاه.

عباد الله: وها هو أبو عبيدة ﷺ لا تستطيع الدنيا أن تصل إلى قلبه بحال من

---

(١) «فتوح الشام» للأزدي (ص١٩٨).

(٢) «قادة فتح الشام ومصر» للواء الركن: محمود شيث خطاب (ص٨٠) دار الفكر.

الأحوال، فهو إن كان يعيش على الدنيا بجسده إلا أن روحه تسرح فى جنة الرحمن فهو لا يريد سواها يرسل إليه عمر بن الخطاب بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار، وقال لرسوله انظر ما يصنع فقسمها أبو عبيدة، فلما أخبر عمر رسوله بما صنع أبو عبيدة بالمال، قال: الحمد لله الذي جعل فى الإسلام من يصنع هذا[1].

ولما قدم عمر الشام، تلقاه أمراءُ الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: « أين أخي» ، فقالوا: من؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلم عليه، فقال عمر للناس: انصرفوا عنا، وسار مع أبي عبيدة حتى منزله فنزل عليه فلم يرى في بيته إلا سيفه وترسه، فقال عمر: لو اتخذت متاعًا، أو قال: شيئًا، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين إن هذا سيبلغنا المقيل[2].

عباد الله: أما إيثار أبي عبيدة فإنه يفوق الخيال، فقد روى مالك الدار قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجلعها في صرة فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة، ثم تله ساعة فى البيت حتى تنظر ما يصنع.

قال: فذهب بها الغلام، فقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجتك. قال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية: اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها، فرجع الغلام إلى عمر وأخبره، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل، فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل، وتله فى البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع.

فذهب بها إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه فى بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله، تعالي يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا واذهبي إلى بيت فلان بكذا.

فاطلعت امرأة معاذ، فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا ولم يتبق فى الخرقة إلا

---

(١) «طبقات» ابن سعد (٣/ ٤١٣).

(٢) «الإصابة» (٤/ ١٢).

ديناران فدحا بهما (أي رمى بهما) إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك فسر بذلك، وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض[١].

عباد الله: وحان وقت رحيل أبي عبيدة ﷺ عن الحارث بن عميرة، قال: أخذ بيدي معاذ بن جبل، فأرسله إلى أبي عبيدة، فسأله كيف هو وقد طُعِنًا فأراه أبو عبيدة طعنة خرجت في كفه، فتكاثر شأنها في نفس الحارث، وفرق منها - خاف منها - حين رآها، فأقسم أبو عبيدة بالله ما يحب أن له مكانها حمر النعم[٢].

وعن قيس بن مسلم، عن طارق أن عمر كتب إلى أبي عبيدة فى الطاعون: إنه قد عرضت لي حاجة ولا غنى بي عنك فيها، فعجل إليّ فلما قرأ الكتاب قال: عرفت حاجة أمير المؤمنين، إنه يريد أن يستبقي ما ليس بباق، فكتب: إني قد عرفت حاجتك فحللني من عزيمتك، فإني فى جند من أجناد المسلمين لا أرغب بنفسي عنهم فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقيل له: مات أبو عبيدة؟ قال لا وكأن قَدْ؟، قال: فتوفي أبو عبيدة وانكشف الطاعون[٣].

وذات يوم وأمير المؤمنين عمر الفاروق يُعالج - فى المدينة - شئون عالمه المسلم الواسع جاءه الناعي، أن قد مات أبو عبيدة. وأسبل الفاروق جفنيه على عينين غُصَّتَا بالدموع، وغاض الدمع ففتح عينيه فى استسلام وترحم على صاحبه، واستعاد ذكرياته معه ﷺ فى حنان صابر، وها هو عمر بن الخطاب ﷺ يتمنى تلك الأمنية الغالية وقد امتلأ قلبه حزنًا على فراق إخوانه وأحبابه، فقال يومًا لمن حوله: تمنوا فقال بعضهم أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبًا فأنفقه فى سبيل الله، ثم قال: تمنوا، فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤًا أو زبرجدًا، فأنفقه في سبيل الله وأتصدق، ثم قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أتمنى لو أنها مملوءة رجالًا مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة،

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٤٩١).

(٢) رواه الطبراني فى «الكبير» برقم (٣٦٤).

(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١/ ١٨-١٩).

وحذيفة بن اليمان[1].

ومات أمين الأمة فوق الأرض التي طهرها من وثنية الفرس، واضطهاد الرومان.

وهناك اليوم تحت ثرى الأُرُدن يثوي رفات نبيل كان مستقرًا لروح خير ونفس ... مطمئنة فرضي الله عن أبي عبيدة وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم شَفِّع فينا نبيك محمد ﷺ واجمعنا به وبسائر الصحابة والأئمة المهديين مع الصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ، اللهم ول أمور المسلمين خيارهم، ولا توليها شرارهم يا أكرم الأكرمين، اللهم عليك بالصليبيين وكافة أعداء الدين، اللهم مزقهم شر ممزق، اللهم اجعلهم وأموالهم وعتادهم غنيمة للإسلام والمسلمين، اللهم وحد صفوف المسلمين وانصرهم على عدوك وعدوهم يا أكرم الأكرمين، اللهم احفظ أعراض المسلمين واحفظ دماء المسلمين، اللهم واحفظ ديار المسلمين، إنك سميع الدعاء، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) رواه الحاكم في «المستدرك»(٣/ ٢٢٦) وصححه، ووافقه الذهبي.

صهيب الرومي ﷺ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل صهيب الرومي ﷺ نشأ صهيب في بيئة مترفة يخيم عليها النعيم والسعادة، فقد كان أبوه حاكم «الأبلة» وعاملًا عليها لكسرى، وكان يعيش معه ابنه صهيب في القصر الذي يطل على شاطئ الفرات مما يلي الجزيرة والموصل وكان أبوه من بني نمير وأمه من بني تميم، ولكنه سمي بصهيب الرومي؛ لأنه عاش زمانًا طويلًا في بلاد الروم.

وبينما صهيب يعيش في تلك السعادة، ويرفل في ذلك النعيم وإذا بأمه تخرج به للنزهة ومعها الحشم والخدم إلى قرية «التُّنِيِّ» من أرض العراق، وإذا بالبلاد تتعرض لهجوم الروم فقتلت الحراس ونهبت الأموال وأسرت الذراري، وكان من

جملة من أسرتهم «صهيب» ويباع صهيب في أسواق الرقيق وظل يتنقل من مكان إلى مكان، ومن خدمة سيدٍ إلى خدمة سيد آخر إلى أن انتهى به التطواف إلى مكة المكرمة.

قيل اشتراه عبد الله بن جدعان وأعتقه، وقيل: بل هرب صهيب من رق أسياده إلى مكة المكرمة وحالف عبد الله بن جدعان، وظل يعمل معه في التجارة إلى أن أصبح عنده ثروة كبيرة. وظل صهيب يترقب ظهور النبي ﷺ وبخاصة بعد أن سمع كاهنًا من كهنة النصارى وهو يقول لسيد من أسياده: لقد أطلَّ زمان يخرج فيه من مكة فى جزيرة العرب نبي يصدق رسالة عيسي بن مريم ويخرج الناس من الظلمات إلى النور. فلما وصل صهيب إلى مكة واشتغل بالتجارة وامتلك ثروة كبيرة ظل قلبه يتطلع لأعظم ثروة ألا وهي نعمة الإسلام ولم يلبث إلا قليلًا حتى سمع بمبعث النبي ﷺ فكان من المسارعين إلى الإسلام.

أما قصة إسلام صهيب الرومي رضي الله عنه فذاتَ يوم، سرى همس فى مكة أنَّ محمد بن عبد الله يدعو إلى دين جديد، دين يدعو إلى عبادة إله واحد، ونَبْذِ جميع الأصنام حتى اللات والعُزَّى وهُبَل، ومضت أيام آخر فإذا بالهمس يتعالى أكثر وتتضح الرؤيا وتظهر معالم الدعوة إلى الإسلام جلية، وأخذ الحق طريقه إلى نفس صهيب فراح يتساءل إلام يدعو محمد؟ ويأتيه الجواب من الواقع: إنه يدعو إلى التحرر من عبودية الأصنام، يدعو إلى التراحم والمساواة إلى العدل، إلى الخروج من الظلمات إلى النور.

وذات صباح قبل أن تدَّب الحياة في مكة، وقبل أن يخرج الناس من دورهم كان صهيب قد يَمَّمَ وجهه إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم[1].

مضى صهيبُ إلى دار الأرقم حذرًا يتلفت، فلما بلغها وجد عند الباب عمار بن ياسر، وكان يعرفه من قبل، فتردد لحظة ثم دنا منه، وقال: ما تريد يا عمار؟ فقال

---

(١) «رجال مبشرون بالجنة» (ص: ٤٥٠-٤٥١).

عمار: بل ما تريد أنت؟ فقال صهيب: أردت أن أدخل على هذا الرجل، فأسمع منه ما يقول، فقال عمار: وأنا أريد ذلك أيضًا، فقال صهيب: إذن ندخل معًا على بركة الله.

دخل صهيب الرومي وعمار بن ياسر على رسول الله ﷺ واستمعا إلى ما يقول، فأشرق نور الإيمان في صدريهما وتسابقًا في مد أيديهما إليه، وشهدا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأمضيا سحابة يومهما عنده ينهلان من هديه، وينعمان بصحبته، ولما أقبل الليل، وهدأت الحركة خرجا من عنده تحت جُنح الظلام، وقد حمل كل منهما من النور فى صدره ما يكفي لإضاءة الدنيا بأسرها[1].

عباد الله: بدأت الحياة عند صهيب من جديد، فقد شعر أنَّهُ وُلِدَ يوم دخل بيت الأرقم، وشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، أحسَّ أنه وصل إلى هدفه المنشود، وسرعان ما تلاشت صور حياته الماضية وتفاهتها من ذاكرته، فقد أضحت حياته ذات عمق ومغزى وأخذ نور الإيمان يسطعُ من وجهه، وكلمة التوحيد تنير له الدرب، وعندما أخذ صوت الإسلام يعلو ويرتفع قرر المشركون محاربة الإسلام، وإيذاء جميع الداخلين به، واشتد غضب قريش حينما رأت هؤلاء المستضعفين يدخلون في دين الله أفواجًا، فلم يجدوا متنفسًا لغيظهم إلا أن يثوروا بالضعفاء الذين أسلموا واتبعوا محمدًا ﷺ[2].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأُمَّهُ سمية وصهيب وبلال والمقداد رضي الله عنهم، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد إلا وقد أتاهم على ما أرادوا إلا بلالًا فإنه هانت عليه نفسه فى الله، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان

---

(١) «صور من حياة الصحابة» (ص ٢٠١-٢٠٢).

(٢) «رجال مبشرون بالجنة» (ص: ٤٥١).

فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد[١].

فصبر صهيب على هذا الأذى راضيًا بقضاء الله تعالى راغبًا فيما عند الله مستعذبًا هذا العذاب فى سبيل الله، فهو يعلم أن طريق الجنة محفوف بالمكاره.

وتأتي الهجرة المباركة ويهاجر النبي ﷺ وصاحبه وتتوق نفس صهيب إلى الهجرة، فاعترضته قريش، فضحَّى بماله كله من أجل أن يتركوه ليلحق بالنبي ﷺ وأبي بكر، ففاز بأعظم جائزة، فقد أنزل الله فيه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، وقال له الحبيب ﷺ: «ربح البيع أبا يحيى».

وها هي قصته التي تُثلج الصدر: لَمَّا خرج صهيب مهاجرًا تبعه أهل مكة فنثل كنانته فأخرج منها أربعين سهمًا فقال: لا تصلون إليّ حتى أضع فى كل رجل منكم سهمًا ثم أصير بعد إلى السيف فتعلمون أني رجل وقد خلفت بمكة قينتين فهما لكم.

ونزلت على النبي ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٠٧] فلما رآه النبي ﷺ-قال: «أبا يحيى ربح البيع» قال: وتلا عليه الآية[٢].

وعن أبي عثمان: أن صهيب حين أراد الهجرة قال له أهل مكة، أتيتنا صعلوكًا حقيرًا، فتغير حالك! قال: أرأيتم إن تركت مالي أتخلُّون أنتم سبيلي؟ قالوا: نعم، فخلع لهم ماله. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ربح صهيب! ربح صهيب»[٣].

وعن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «أُريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرة! فأما أن تكون هجر أو يثرب».

قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقد كنت هممت بالخروج معه فصدني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد، فقالوا: قد شغله الله عنكم

(١) رواه الحاكم(٣/ ٢٨٤) قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.
(٢) رواه الحاكم فى «المستدرك»(٣/ ٣٩٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.
(٣) قال الأرنؤوط: أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٢٧-٢٢٨) ورجاله ثقات.

ببطنه - ولم أكن شاكيًا فناموا ، فذهبت، فلحقني ناسٌ منهم على بريد فقلت لهم أعطيكم أواقي من ذهب وتُخَلُّوني؟ ففعلوا فقلت: احفروا تحت أسكفة الباب تجدوها وخذوا من فلانة الحُليتين وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ قباء فلما رآني قال: «**يا أبا يحيى، ربح البيع**» ثلاثًا فقلت ما أخبرك إلا جبريل[1].

وتالله إن الدنيا بكل ما فيها من زخرف وزينة ومتاع لا تساوي أبدًا قول النبي ﷺ لصهيب: «**ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى**».

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين والمذلة والخسران لأعداء الدين من المشركين والكافرين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

عباد الله: إليكم باقة من الصفات العطرة لصهيب الرومي رضي الله عنه تطالعنا كتب السيرة بوصف موجز لشخصية صهيب رضي الله عنه فقد كان رجلًا أحمر شديد الحمرة. كثي شَعر الرأس متوسط الطول، في لسانه لُكْنَه لمكثه مدة طويلة عند الروم، وكان حسن الشكل والثياب حلو الشمائل يحب الدعابة والمَرَح، فطنًا حاضر البديهة. وكان صهيب رضي الله عنه يتمتع بخفة الظل التي تجعل الإنسان لا يمل أبدًا من صحبته، بل يشتاق لمجالسته في كل وقت وحين. فعن صهيب قال: قدمت على رسول الله ﷺ قُباء، وقد رَمِدتُ في الطريق وجُعْتُ وبين يديه رطبٌ فوقعت فيه فقال عمر: يا رسول الله، ألا ترى صهيبًا يأكل الرطب وهو أرمد؟ فقال النبي ﷺ لي ذلك،

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ١٧٢).

قلت: إنما آكل على شق عيني الصحيحة. فتبسم. وفي رواية أخرى عن صهيب قال: قدمت على النبي ﷺ وبين يديه خبز وتمر. فقال النبي ﷺ: «أدن فكل» فأخذت آكل من التمر، فقال النبي ﷺ: «**تأكل تمرًا وبك رمد**»؟ قال فقلت: إني أمضغ من ناحية أخرى، فتبسم رسول الله ﷺ[1].

أما جهاد صهيب رضي الله عنه في سبيل الله، فلقد كان من كبار السابقين البدريين. يقول صهيب عن نفسه: لم يشهد رسول الله ﷺ مشهدًا قط إلا كنت حاضره ولم يبايع بيعة إلا كنت حاضرها، ولم يسر سرية قط إلَّا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو عن شماله وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول الله ﷺ[2].

أما مكانة صهيب عند الله وعند رسوله ﷺ فقد كانت تزداد في نفس الرسول ﷺ فقد كان دائمًا بجوار النبي لا يتخلفُ عنه أبدًا ويحرص الحرص كله على أن ينال رضى النبي ﷺ وكان من السابقين إلى الإسلام وكان الرسول ﷺ ينظر إلى صهيب والمستضعفين نظرة إكبار واحترام، فهؤلاء في ميزان الإسلام أفضل من السادة الكفار[3].

وإذا أردنا دليلًا على ذلك فما علينا إلا أن نتأمل هذا الحديث.

فعن عائذ بن عمرو، أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. قال فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «**يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**» فأتاهم أبو بكر فقال: يا أخوتاه أغضبتكم؟

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات»(٣/ ٢٢٨)، وابن ماجه في «الطب» (٣٤٤٣) وقال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٢١٣) إسناد صحيح ورجاله ثقات.

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ١٧٧).

(٣) «رجال مبشرون بالجنة» (ص:٤٥٩).

قالوا : لا . يغفر الله لك يا أُخَيَّ [١].

أما الحديث عن مكانة صهيب فى قلوب الصحابة ﷺ فقد توفي رسول الله ﷺ وهو راض عن صهيب ثم جاء خليفته أبو بكر الصِّدِّيق، فكان رجل الإسلام الذي أبطلَ الشِّرك وحارب المرتدين ونصح الأمة، وعمل للإسلام وأهله، وقد عاش صهيب ﷺ فى كَنف الصِّدِّيق يؤدي ما عليه من واجبات، وكان أبو بكر ﷺ يعرف لصهيب مكانته عند رسول الله ﷺ وهو الحريص على احترامه واحترام المستضعفين أمثاله.

وفى خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، كانت لصهيب مكانة عظمى لا تقلُّ عن المكانة ذاتها في حياة الصِّدِّيق، فقد كان عمر مُحبًّا لصهيب ﷺ أشد الحب، فكثيرًا ما كان صهيب موضع استشارة عمر في مسائل الدين أو الغزوات أو يكون رسوله لإنجاز بعض الأمور المتعلقة بالمسلمين [٢].

وذات يوم قال عمر ﷺ لصهيب: « يا صهيب مالك تكنى أبا يحيى وليس لك ولد، وتقول إنك من العرب وأنت رجل من الروم، وتُطعم الطعام الكثير وذلك سرف فى المال؟ » ، فقال صهيب ﷺ : إن رسول الله ﷺ كناني أبا يحيى،وأما عن قولك فى النسب وادعائي إلى العرب، فإني رجل من النمر بن قاسط من أهل الموصل ولكن سبيت سبتني الروم غلامًا صغيرًا بعد أن عقلت أهلي وقومي وعرفت نسبي، وأما قولك فى الطعام وإسرافي فيه فإن رسول الله ﷺ وكان يقول: «إن خياركم من أطعم الطعام ورد السلام» فذلك الذي يحملني على أن أطعم الطعام [٣].

ولما طعن عمر بن الخطاب لم ينس قدر ومكانة صهيب حتى في تلك اللحظات العصيبة، فاستناب صهيبًا لكي يصلي بالمسلمين إلى أن يتفق أهل الشورى على إمام.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٠٤)، وأحمد (٥/ ٦٤).
(٢) «رجال مبشرون بالجنة» (ص: ٤٦٠-٤٦١) بتصرف.
(٣) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢٧).

إنها لشهادة عظيمة من الفاروق عمر رضي الله عنه لصهيب فقد كان يقال صلى عمر على أبي بكر عندما توفي وصلى صهيب على عمر، وبلغ من مكانة صهيب أيضًا أنه نزل في قبر عمر مع عثمان بن عفان وسعيد بن زيد وعبد الله بن عمر.

وظل صهيب رضي الله عنه يحتل مكانةً عظيمة في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه ينال احترام الخليفة والمسلمين ويبذل كل ما يملك فى سبيل الله[1].

عباد الله: بقي صهيب رضي الله عنه يقضي حياته في الجهاد والعمل الصالح، يجاهد بنفسه وماله ابتغاء مرضاة الله إلى أن أربى عمره على السبعين وحتى رأى أن الله قد أعز جنده ونصر دينه، وأتم نعمته على المؤمنين فحطمت قلاع الكفر وحصون البغي في بلاد الروم وفارس، وترددت كلمةُ التوحيد في أركان الأرض، وشعر صهيب رضي الله عنه بالطمأنينة تستقر في أعماقه وسُرَّ بانتصارات المسلمين وعزتهم[2]. وكان ممن اعتزل الفتنة وأقبل على شأنه.

وبعد حياة مديدة مملوءة بالتضحية والعطاء فاضت روحه الطاهرة ، ومات بالمدينة في شهر شوال سنة ثمان وثلاثين، فرضي الله عن صهيب وعن سائر الصحابة أجمعين. اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم! اللهم انصر الإسلام وأهله، وأذل الشرك وأهله، اللهم من ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه ولا تجعل له تمكينًا، ومن ولي أمر المسلمين ويسر لهم فيسر أمره وأصلح شأنه واجعل له بطانة صالحة تعينه على طاعة وتذبه عن معصية، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) «رجال مبشرون بالجنة» (ص: ٤٦٣).

(٢) «رجال مبشرون بالجنة» (ص: ٤٦٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي لـه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل مصعب بن عمير هو السيد الشهيد السابق البدري القرشي العبدري سفير الدعوة الأول فهو أول من دعا إلى الله في المدينة المنورة. نبراس الدعاة وإمام الفاتحين الفتى المُنَعَّم الذي صاغه الإسلام على يديه تقدم حين نادت المغارم وذهب إلى لقاء ربه قبل مجيء الغنائم اختاره الله شهيدًا بين يدي رسول الله ﷺ بعد أن أسلم علي يديه: أسيد بن حُضير الذي تنزلت الملائكة لتلاوته القرآن، وسعد بن معاذ الذي أهتز لموته عرش الرحمن.

مصعب غرة فتيان قريش، وأوفاهم بهاء وجمالًا وشبابًا ولولؤة أهل مكة

ومجالسهم وندواتهم ، وبعد الإسلام صار نموذجًا من نماذج الإيمان والفداء. لقد كان «مصعب» قبل الإسلام هو أنعم فتيان مكة، فلم يكن هناك من يلبس مثل ثيابه ولا يضع مثل عطره حتى إنه كان إذا مر من طريق وجاء بعده أناس قالوا: لقد مر مصعب بن عمير من هذا الطريق- مما يجدون من عطره الجميل.

وفجأة تمر فوق رأسه سحابة الإيمان، وتُسقط ماءها كله عليه فيشرب منه ويغتسل فيخالط الإيمان قلبه وجسده في آن واحد، فإذا به يضع أقدامه على الأرض ورأسه تناطح كواكب الجوزاء يمشي بكل ثقة على طريق الحق والخير إلى دار الأرقم ليعلن للعالم كله أن الفتى المدلل «مصعب» قد أسدل عليه الستار وهذا مصعب بن عمير هو واحد ممن تربوا بين يدي من رباه الله ليربي به الأمم والأجيال محمد بن عبد الله ﷺ.

عباد الله: يُبْتَلي الرجل على قدر دينه، كان مصعب رضي الله عنه يكتم إسلامه في بداية الأمر خوفًا من بطش أمه، فقد كانت تتمتع بقوة عجيبة فى شخصيتها تفوق الكثير من الرجال. ولكن البلاء سُنَّة ثابتة، فلقد رآه عثمان بن طلحة وهو يدخل إلى دار الأرقم، ثم رآه مرة أخرى وهو يصلي، فذهب إلى أم مصعب - تسابق أقدامه الريح - وأخبرها بإسلام مصعب حتى كاد عقلها أن يطيش لهول المفاجأة التي وقعت عليها، وهمت أمه بإيذائه -بالضرب -ولكن نور الإيمان الذي كسى وجهه جعلها تتراجع عن ذلك وتكتفي بحبسه فى دارها. وهنا نقول إن صدق الإيمان يظهر واضحًا فى الصبر على المحن والابتلاءات قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[العنكبوت: ١- ٣].

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران:١٧٩].

وذلك التمييز لا يكون إلا في الابتلاء والامتحان الذي يفصل الصادقين عن الكاذبين. ولقد جاءت المواقف الإيمانية التي وقفها الصحابة ﷺ لتكون لنا كالشمس الساطعة في دنيا الحقيقة، فنتعلم منها كيف يكون الإيمان الحقيقي الصادق فنسير على آثار خطواتهم إلى أن تكون خاتمة السعادة بمرافقتهم فى جنات النعيم، فيكمل الله لنا النعمة بصحبة نبيه ﷺ ويسبغ علينا فضله ورحمته بالنظر إلى وجهه الكريم[1].

عباد الله: ولكن الله دائمًا وأبدًا لا يسلم أولياءه لأعدائه، فسرعان ما جاء الفرج من عند الله، فلقد استطاع مصعب ﷺ أن يهرب من هذا الحبس وغافل أمه وحُرَّاسه ومضى إلى بلاد الحبشة مهاجرًا ليغسل جراحاته بشلالات الحبشة ثم عاد مع من عاد من الحبشة ولم يلبث إلَّا قليلًا حتى هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة فارًّا بدينه وإيمانه.

وكان مصعب من أنعم الناس عيشًا قبل إسلامه، فلما أسلم زهد في الدنيا وترك زينتها وتفرغ للعبادة وطلب العلم، ولقد منعته أمه من ثروتها وأبت أن ينال منها درهمًا واحدًا بعد ما ترك عبادة الأصنام وسجد للواحد الديان . يقول علي ﷺ : جئت المسجد فطلع علينا مصعب بن عمير فى بردة له مرقوعة بفروة وكان أنعم غلام بمكة وأرفه، فلما رآه رسول الله ﷺ ذكر ما كان فيه من النعيم، ورأى حاله التي هو عليها فذرفت عيناه عليه، ثم قال: «**أنتم اليوم خيرًا أم إذا غُدي على أحدكم بجفنة من خبز ولحم؟**» فقلنا: نحن يومئذٍ خير، نُكفى المؤنة ونتفرغ للعبادة. فقال: «**بل أنتم اليوم خير منكم يومئذٍ**»[2].

وخرج مصعب ﷺ من النعمة الوارفة التي كان يعيش فيها مؤثرًا الشظف والفاقة - الفقر - وأصبح الفتى المتأنق المعطر لا يرى إلا مرتديًا أخشن الثياب يأكل يومًا ويجوع أيامًا ولكن روحه المتأنقة بسمو العقيدة، والمتألقة بنور الله، كانت قد

(١) كتاب «صدقوا ما عاهدوا الله عليه» للمصنف (ص٦٢-٦٣).
(٢) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

جعلت منه إنسانًا آخر يملأ الأعين جلالًا، والأنفس روعة[١].

عباد الله: ويا لها من منقبة عظيمة أن يختار الحبيب ﷺ مصعبًا لأعظم وأجل مهمة في الكون ألا وهي الدعوة إلى الله.

فبعثه النبي ﷺ إلى المدينة المنورة ليكون سفير الدعوة الأول، وذلك بعد أن بايع الأنصار البيعة الأولى يفقههم ويُقرؤهم القرآن، وكان يأتيهم في دورهم فيدعوهم إلى الإسلام، فأسلم منهم خلق كثير وفشا الإسلام فيهم، وكتب إلى رسول الله ﷺ يستأذنه أن يجمع بهم فأذن له، فجمع بهم في دار بني خيثمة ثم قدم على رسول الله ﷺ من السبعين الذين وافوه في العقبة الثانية فأقام بمكة قليلًا ثم قدم قبل رسول الله ﷺ المدينة فهو أول من قدمها.

وعن ابن شهاب قال: لما بايع أهل العقبة رسول الله ﷺ ورجعوا إلى قومهم، فدعوهم إلى الإسلام سرًا، وتلوا عليهم القرآن، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك ، أن ابعث إلينا رجلاً من قبلك فليدع الناس بكتاب الله، فإنه قمن أن يتبع، فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، فلم يزل يدعو آمنًا ويهدي الله تعالى الناس على يديه، حتى قل دار من دور الأنصار إلا قد أسلم أشرافهم، فأسلم عمرو بن الجموح . وكسرت أصنامهم وكان المسلمون أعز أهل المدينة، فرجع مصعب إلى رسول الله ﷺ وكان يُدْعى المقرئُ[٢].

عباد الله: في مثل هدوء البحر وقوَّته، وتهلل ضوء الفجر ووداعته، انساب نور الإيمان على يدي مصعب إلى سادات الأنصار أسيد بن حُضير وسعد بن معاذ وسعد ابن عبادة، شاب يقوم ويُسَيِّر جبال الإيمان، ويكون في ميزان حسناته الأنصار من الأوس والخزرج[٣].

---

(١) «رجال حول الرسول ﷺ» (ص٤٦).

(٢) «صفوة الصفوة» (١/ ١٦١).

(٣) «ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله» د/ سيد حسن (١/ ٢٧٥-٢٧٦).

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين من عباده الموحدين، والخزي والمهانة لأعداء الدين من المشركين والمنافقين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الغُر الميامين.

أما بعد:

عباد الله: لله در مصعب بن عمير الداعية الذي على يديه أسلم الجبلان: سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير، ولله در سعد بن معاذ، فقد كان إسلامه فتحًا على الأوس والأنصار، الداعية الذي أسلم بإسلامه قومه (الرجال والنساء) فليحسن الداعية خلقه مع أهله وليجعل بينه وبينهم وصلًا فوالله ما دخل بنو عبد الأشهل الإسلام بداية إلا حُبًّا لسعد ميمون النقيبة حسن السيرة فيهم.

قال ابن شهاب: وكان أول من جمع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ يعني مصعب[1].

وعن البراء رضي الله عنه أنه قال: أول من قَدِمَ علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، ثم قدم علينا عمار بن ياسر وبلال رضي الله عنهم[2].

عباد الله: وأما عن الصفحات المشرقة من جهاده في سبيل الله، فقد شهد مصعب ابن عمير رضي الله عنه بدرًا وقاتل قتالًا شديدًا وبعد أن انقضت الغزوة بانتصار المسلمين، وأسر المسلمون عددًا من المشركين كان لمصعب موقفًا عظيمًا في الولاء والبراء.

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ١٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٢٤).

قال ابن إسحاق: وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار، أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأساري، فرقهم بين أصحابه وقال: «استوصوا بالأسارى خيرًا» قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هشام أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى قال فقال أبو عزيز: مَرَّ بي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال (مصعب): شد يدك به، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك قال: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدَّموا غذاءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، قال فأستحي فأردها على أحدهم، فيردها عَلَيَّ ما يمسها قال ابن هشام: وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، فلما قال أخوه مصعب بن عمير (لأبي اليسر) وهو الذي أسره ما قال: قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي؟! فقال له مصعب: إنه أخي دونك. فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قرشي فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربع آلاف درهم ففدته بها[1].

وقول مصعب رضي الله عنه لأبي اليسر: إنه أخي دونك حقٌّ وصدقٌ فإن الأخوة الإيمانية مقدمة على أخوة الرحم، والعلاقة الدينية مقدمة على علاقة النسب، قال الله عز وجل - لنوح - عليه السلام - في حق ابنه الكافر: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[هود:٤٦].

ومما يدل على ذلك كذلك أن الرجل إذا مات وليس له إلَّا ابن كافر، فإنه لا يرثه ويعود ماله إلى إخوانه المؤمنين وهذا يدل على أن معاني الولاء والبراء كانت قوية عند الصحابة رضي الله عنهم[2].

عباد الله: لقد حمل مصعب اللواء يوم أُحد، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب، فأقبل ابن قمئة، فضرب يده اليمني، فقطعها ومصعب يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ

(١) «السيرة» لابن هشام (٣/ ٥٤).
(٢) «مواقف إيمانية» لأحمد فريد (ص:٤٦١).

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[آل عمران:١٤٤] وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه، فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه.

وقال ابن سعد: وقال عبد الله بن الفضل قُتِلَ مصعب وأخذ اللواء مَلَكٌ في صورته، فجعل النبي ﷺ يقول له في آخر النهار: «تقدم يا مصعب» فالتفت إليه المَلَكُ، وقال: لست بمصعب فعرف النبي ﷺ أنه مَلَكٌ أُيِّدَ به [١].

قال ابن إسحاق: وقاتل مصعبُ بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتِلَ قتله ابن قمئة الليثي، وهو يظنه رسول الله، فرجع إلى قريش، فقال: قتلت محمدًا فلما قُتِلَ مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب ورجالًا من المسلمين[٢].

وعن عبيد بن عمير قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من أحد مر على مصعب بن عمير مقتولًا على طريقه فقرأ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣].

عباد الله: لقد ادَّخر اللهُ الأجر لمصعب يوم القيامة، فبعد أن سالت دماء بطلنا على أرض الشرف والجهاد وقام الحبيب ﷺ يتفقد القتلى ، فلما أشرف عليهم قال ﷺ: «**أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح يجرح في سبيل الله، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جُرحه، اللون لون دم، والريح ريح مسك ، وانظروا أكثر هؤلاء جمعًا للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر**» وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد[٣].

وعند جثمان مصعب سالت دموعه ﷺ قال خباب بن الأرت: هاجرنا مع النبي ﷺ نريد وجه الله، فوقع أجرنا على الله، فمنَّا من مضى لم يأخذ من أجره شيئًا، منهم

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ١٦٢).
(٢) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٧٣).
(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٣١).

مصعب بن عمير، قتل يوم أُحد وترك نمرة، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، ونجعل على رجليه شيئًا من إذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهد بها[1].

وظل أصحاب الحبيب ﷺ يذكرون مصعبًا ﷺ في كل وقت ولم يغب وجهه عنهم لحظة واحدة، فهذا عبد الرحمن بن عوف ﷺ أتي بطعام- وكان صائما- فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خيٌر منِّي، كُفِّنَ فى بُردة إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة - وهو خير مني- ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسِطَ أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا- وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلَت لنا - ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[2].

ولا نملك عند وداع هذا البطل إلا أن نقول: رضي الله عن مصعب وعن سائر الصحابة أجمعين.

عباد الله: لنقف قليلًا مع الآية التى تلاها رسول الله ﷺ يوم أحد بعد ما شاهد مصعب بن عمير ﷺ مقتولًا قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[الأحزاب:٢٣] أي: وفوا به وأتموه وأكملوه فبذلوا مهجهم فى مرضاته، وسبلوا أنفسهم فى طاعته. ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾أي: إرادته ومطلوبه وما عليه من الحق، فقتل فى سبيل الله، أو مات مؤديًا لحقه لم ينقصه شيئًا. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ تكميل ما عليه فهو شارع فى قضاء ما عليه ووفاء نحبه ولما يكمله وهو في رجاء تكميله ساع في ذلك مجد. ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ كما بدل غيرهم بل لم يزالوا على العهد ولا يلوون ولا يتغيرون، فهؤلاء الرجال على الحقيقة، ومن عداهم فصورهم صور رجال، وأما الصفات فقد قصرت عن صفات الرجال[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٩٧)، ومسلم (٩٤٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٢٧٥).
(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٦٦١).

اللهم ألحقنا بالصالحين، واجعلنا من ورثة جنة النعيم، اللهم انصر من نصر الدين وأخذل من خذل الدين، اللهم انصر إخواننا فى فلسطين، وانصر إخواننا فى العراق، وانصر إخواننا فى أفغانستان، اللهم انصرهم فى كل مكان، اللهم عليك بالصليبين وكافة أعداء الدين، اللهم مزق جمعهم وشتت شملهم واجعل الدائرة عليهم واجعلهم هم وأموالهم وديارهم غنيمة للإسلام والمسلمين ، اللهم ول أمورنا خيارنا ولا توليها شرارنا، اللهم أصلح الراعي والرعية ، واجعل لهم بطانة صالحة تعينهم على طاعة، وتذبهم عن معصية! ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكون من الخاسرين، وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم وأقم الصلاة.

obeikandl.com

زيد بن ثابت رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: موضوعنا في هذا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل كاتب الوحي وجامع القرآن زيد بن ثابت رضي الله عنه .

عباد الله: إن كل جهد مادي أو أدبي يبذله المؤمن فى سبيل الله – مهما يبلغ من ضآلة حجمه فهو محسوب له فى رصيد حسناته عند الله، لا يضيع منه مثقال ذرة، حتى الخطوةُ التي تمشيها قدمه، وحتى الفلس ينفقه وحتى الإحساس بالجوع أو العطش أو التعب. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً

وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[التوبة:١٢٠- ١٢١].

فلا عجب أن نرى دينًا كالإسلام يُقدِّم لنا فى مرحلة قوَّته وازدهاره - نماذج رائعة للتضحية والبذل والكفاح والجهاد، وبأعداد هائلة ، تُقَدِّم ما تملك من نفس ومال فى سبيل الله وهي قريرة العين[1].

وها نحن على موعد مع رجل عظيم من هذا الصنف الكريم.

إنَّ الذي يقرأ أو يكتب عن هذا الصحابي الجليل يحس كأنه يقف أمام جبل عظيم قد امتلأ بالحسنات والدرجات حتى ملأ بين السموات والأرض. ولمَ لا؟ وما من مسلم يفتح المصحف ويقرأ سورة أو آية من كتاب الله إلا وكان ذلك فى ميزان حسنات هذا الصحابي الجليل، فهو كاتب الوحي للنبي ﷺ وهو جامع القرآن فى عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما جميعًا.

إنه زيد بن ثابت رضي الله عنه الإمام الكبير شيخ المقرئين، والفرضيين ، مفتي المدينة ، وكان من حملة الحُجَّة، وكان عمر بن الخطاب يستخلفهُ إذا حج على المدينة.

وهو الذي تولى قسمة الغنائم يوم اليرموك وقد قُتِلَ أبوه قبل الهجرة يوم بعاث، فرُبِّيَ زيد يتيما . وكان أحد الأذكياء، فلما هاجر النبي ﷺ أسلم زيد وهو ابن إحدى عشرة سنة. وفي غزوة بدر أراد هذا الفتى الصغير أن ينال شرف الجهاد والشهادة فى سبيل الله، فأقبل على النبي ﷺ وقال: جُعِلْتُ فداك يا رسول الله ائذن لي أن أكون معك وأجاهد أعداء الله تحت رايتك، فنظر إليه الرسول ﷺ نظرة سرور وإعجاب وطَيَّب خاطره وردَّه لصغر سنه . فعاد الغلام حزينًا وأمه أكثر حزنًا منه، فهي التي كانت تتمنى أن ترى ولدها الصغير مجاهدًا فى سبيل الله، وما إن رد النبي ﷺ زيدًا حتى وقف مع نفسه وقفة صدق ينظر ويتأمل في مواهبه وإمكاناته وكيف يستخدمها لنُصرة الإسلام، وإذا به يرى أن الله تعالى قد امتن عليه بنعمة الحفظ

(١) «الإيمان والحياة» د/ يوسف القرضاوي.

الجيد والذاكرة المتوقدة ومحبة العلم والإقبال على طلبه. فأخبر أمه برغبته الشديدة في طلب العلم، وقامت هي بدورها لتخبر قومها برغبة ابنها، فقام رجال من قومه وأقبلوا به على رسول الله ﷺ.

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أُتي بي إلى النبي ﷺ عند مَقْدَمِهِ المدينة، فقالوا يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار، وقد قرأ مما أُنزِلَ عليك سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك وقال: « **يا زيد تعلَّم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمنهم على كتابي**» قال فتعلمته فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته - أتقنته- وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم[1].

وقال زيد: قال لي رسول الله ﷺ: «أتحسن السريانية؟» قلت: لا قال: «فتعلمها» فتعلمتها في سبعة عشر يومًا[2].

وعن زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتابة يهود قال: «إني والله ما آمن يهود على كتاب» قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم[3].

وبعد فترة يسيرة رأى النبي ﷺ من زيد بن ثابت رضي الله عنه الخير الكثير من دقته وإتقانه في الحفظ والكتابة وأمانته في النقل، وفهمه للنصوص، فكلفه بأعظم مهمة وُجدت في هذا الكون كله ألا وهي كتابة الوحي الذي يتنزل على رسول الله ﷺ ويا له من شرفٍ يعجز القلم عن وصفه.

إنها ثقة عظيمة وضعها النبي ﷺ في زيد رضي الله عنه فكان زيد يتلقى القرآن من فم الصادق المصدوق غَضًّا طريًّا وهو يتعايش مع كل آية وسبب نزولها بل ومكان نزولها. فأشرقت نفسه واستنار عقله وهو يلامس ويباشر أنوار القرآن عن قريب،

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٨٠).
(٢) قال الأرنؤوط أخرجه أحمد (٥/ ١٨٢)، والحاكم (٣/ ٤٢٢) وإسناد صحيح.
(٣) رواه الترمذي (٢٧١٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

بل ويزداد قربًا فى كل يوم من الحبيب ﷺ فيا لها من عيشة ما أجملها ويا لها من لحظات ما أعذبها . ويا لها من مهمة مباركة ما أطيبها. فلقد أصبح زيد ﷺ هو المرجع الأول للقرآن فى أمة الحبيب ﷺ.

عباد الله: وكان لزيد ﷺ موقف خالد يوم السقيفة لقد ظل زيد ﷺ ملازمًا للحبيب ﷺ يكتب له الوحي حتى توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض. وفي يوم السقيفة حينما اجتمع المهاجرون والأنصار لاختيار خليفة المسلمين كادتْ أن تحدث فتنة عظيمة بينهم، وهنا جاء دور القرآن وحَمَلة القرآن، بل لقد جاء دور كاتب الوحي الذي استنار بنوره حتى ليهتدي- بإذن الله- إلى أصوب رأي فى تلك المواقف التي يحار فيها أولو الألباب. عن أبي سعيد، قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فتكلموا وقالوا: رجل منا ورجل منكم، فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله كان من المهاجرين ونحن أنصاره، وإنما يكوّن الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره.

فقال أبو بكر: جزاكم الله خيرًا يا معشر الأنصار، وثَبَّتَ قائلكم لو قلتم غير هذا ما صالحناكم[1]. وبهذا الموقف وئدت نار الفتنة فى مهدها ولله الحمد.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام الصِّدِّيقين والشهداء والصالحين ، وصلى الله عليه وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله: من المهمات الخالدة التي قام بها زيد بن ثابت ﷺ جَمْع القرآن في عهد

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٢٢)، والطبراني (٤٧٨٥) وقال الذهبي: إسناده صحيح.

أبي بكر رضي الله عنه ففي أثناء حروب الردة- وعلى وجه الخصوص في معركة اليمامة- قتل عدد كبير من حفظة القرآن، فكان لابد من جمع القرآن خوفًا من ضياعه، وكان في مقدمة الأبطال الذين نالوا شرف هذه المهمة التاريخية - زيد بن ثابت - رضي الله عنه فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: أرسل إليّ أبو بكر الصِّدِّيق مقتل أهل اليمامة - أي عقب مقتل أهل اليمامة - فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت: لعمر كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدريٌ لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجلٌ شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة:١٢٨] حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر مدة حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار، أبيّ، ومعاذ، وزيد بن ثابت، وأبو زيد[٢].

وقد غدا زيد بن ثابت بفضل القرآن وتفقهه فيه وطول ملازمته لرسول الله ﷺ منارة للمسلمين، يستشيره خلفاؤهم في المعضلات ويستفتيه عامتهم في المشكلات،

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨٦).
(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٤٦).

ويرجعون إليه فى المواريث خاصة إذ لم يكن بين المسلمين - إذ ذاك - من هو أعلم منه بأحكامها وأحذق منه في قسمتها، فقد خطب عمر - رضوان الله عليه - فى المسلمين يوم «الجابية»[1] فقال:

أيها الناس من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأت إليّ، فإن الله - عز وجل - جعلني عليه واليًا وله قاسما[2].

عباد الله: وكما وقف زيد ﷺ هذا الموقف الخالد فى جمع القرآن فى عهد أبي بكر ﷺ كان له دور عظيم فى كتابة المصحف فى عهد عثمان ﷺ وذلك لجمع المسلمين على مصحف واحد خوفًا عليهم من الفرقة والاختلاف.

فعن أنس بن مالك ﷺ أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة، فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[3].

أما عن علم زيد بن ثابت ﷺ ومكانته فى قلوب الصحابة ﷺ فعن أنس،

---

(١) الجابية: قرية غربي دمشق اجتمع فيها الصحابة للتداول في شئون الفتح.
(٢) «صور من حياة الصحابة» (ص ٣٦٧).
(٣) أخرجه البخاري (٤٩٨٧).

أن النبي ﷺ قال: «أفرض أمتي زيد بن ثابت»[١]. أي أعلمهم بعلم المواريث.

وقال جعفر بن بُرقان سمعت الزهري يقول لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض، لرأيت أنها ستذهب من الناس[٢].

وعن حميد بن الأسود قال: قال مالك: كان إمام الناس عندنا بعد عمر زيد بن ثابت، وكان إمام الناس عندنا بعد زيد ابن عمر[٣].

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: النّاس عَلى قراءة زيد، وعلى فرض زيد، وعن الشعبي قال: القضاة أربعة: عمر، وعليّ، وزيد، وابن مسعود[٤].

وعن مسروق قال: كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ عمر، وعليّ، وابن مسعود، وأبيّ، وأبو موسى[٥].

وعن ابن عباس قال: لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن زيد بن ثابت من الراسخين فى العلم[٦].

ولقد علم طلاب العلم من الصحابة والتابعين لزيد بن ثابت قدره ومنزلته، فكانوا يحملون له فى قلوبهم كل محبةٍ وتقديرٍ وإجلالٍ لمكانته العظيمة فى العلم.

فهذا هو ترجمان القرآن وبحر العلم (عبد الله بن عباس) يعرف لزيد بن ثابت قدره ومنزلته السامية.

فعن أبي سلمة ، أن ابن عباس قَام إلى زيد بن ثابت فأخذ له بركابه ، فقال: تنح

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وصححه الألباني فى «صحيح الجامع» (٨٩٥).
(٢) «تاريخ الفسوي» (١/ ٤٨٦).
(٣) «تاريخ الفسوي» (١/ ٤٨٦، ٢/ ٢٦٥، ٢٦٦).
(٤) «تهذيب ابن عساكر» (٥/ ٤٥٠).
(٥) «تهذيب ابن عساكر» (٥/ ٤٤٩)، وقال الأرنؤوط: إسناد صحيح.
(٦) نسبه الحافظ فى «الإصابة» (٤/ ٤٣) إلى البغوي، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال: إنا هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا[١].

ولقد كان زيد ﷺ مع انشغاله فى طلب العلم وتبليغه - يملأ بيته فرحًا وسعادة وسرورًا فعن ثابت بن عُبيد قال: كان زيد بن ثابت من أفكه الناس فى أهله.

وهكذا يجب على الداعية الذي ينشغل عن أهل بيته بالدعوة ومدارسة العلم أن يكون مصدر الفرح والسرور والسعادة لأهل بيته وأولاده.

عباد الله: وبعد حياة طويلة مباركة مليئة بالبذل والعطاء والتضحية.

ساق الله فيها على يدي (زيد بن ثابت) الخير الكثير لنفسه وللأمة الإسلامية، نام زيد ﷺ على فراش الموت. ولما مات ﷺ قال أبو هريرة ﷺ: مات حبر هذه الأمة، ولعل الله أن يجعل فى ابن عباس منه خلفًا.

وعن عمار بن أبي عمار قال: لما مات زيد بن ثابت قعدنا إلى ابن عباس فى ظل القصر فقال: هكذا ذهاب العلم، لقد دفن اليوم علم كثير[٢].

ورحل بطلنا عن هذه الدنيا، وها نحن كلما قرأنا سورة أو آية من كتاب الله لا نستطيع أن ننسى أبدًا من كتب هذا القرآن ومن جمعه، فرضي الله عن (زيد) وجزاه الله خير الجزاء عن كل مسلم قرأ القرآن من لدن محمد بن عبد الله ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذا وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعلى سائر الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، اللهم انصر الإسلام وأهله ، واخذل الشرك وأهله، اللهم اجعلنا من أهل القرآن وخاصته ، اللهم واجعله حجة لنا لا حجة علينا، اللهم اجعلنا ممن يتلوه حقه تلاوته يا سميع الدعاء ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، وقوموا إلى صلاتكم .

---

(١) صححه الحاكم (٣/ ٤٢٣)، وأقره الذهبي.

(٢) قال الأرنؤوط: أخرج ابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٣٦١)، والحاكم (٣/ ٤٢٨) ورجاله ثقات.

أنس بن مالك رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهديِ هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا في هذا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه لم يكن أنس بن مالك ملازمًا للحبيب ﷺ فحسب، بل كان من المقربين إليه وعاش في خدمته عشر سنوات كانت هي أزهى وأجمل وأبهى سنوات عمره على الإطلاق.

ولمَ لا؟ وهو الذي يرى الحبيب ويتلقى العلم والأدب والنصائح الغالية بين يديه في كل لحظة، في الوقت الذي يتمنى فيه أحدنا أن لو كان رأى النبي ﷺ مرة واحدة لا أقول في اليقظة، بل في المنام.

أنس بن مالك رضي الله عنه هو علم من أعلام الصحابة رضي الله عنهم وهو الإمام المفتي المُقرئ المحدث ، راوية الإسلام أبو حمزة الأنصاريُّ الخزرجي النجاري المدني خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء وتلميذه وتبعه وآخر أصحابه موتًا.

روى عن النبي ﷺ علمًا جمًّا. وعن أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاذ، وأسيد بن الحضير، وأبي طلحة، وأمه أمِّ سليم بنت ملحان، وخالته أم حرام[1].

لقد كان أنس طفلًا صغيرًا، وكانت أمه هي «أم سليم» الغميصاء التي أسلمت لله- جل وعلا - وكان زوجها «مالك» والد أنس ما زال على دينه وكان يريد منها أن تترك دينها وتبقى على دين الآباء. وفى يوم من الأيام خرج الرجل مغضبًا، فلقيه عدوٌ فقتله، فنشأ «أنس» يتيمًا منذ تلك اللحظة ولكن أمه «أم سليم» كانت امرأة مؤمنة راجحة العقل لم يشعر معها لحظة واحدة بمرارة اليتم.

وكانت «أم سليم» تلقنه الشهادتين وتعلمه، بل وتغرس فى قلبه محبة الله- جل وعلا- ومحبة رسوله ﷺ قبل أن يراه، فأصبح «أنس» فى أشد شوقه لرؤية الحبيب ﷺ بل لقد تمنى أن لو كان كبيرًا لسافر إليه ليراه ويلازمه. وما هي إلى فترة يسيرة حتى أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة. وما إن علم «أنس» وكل من في يثرب - المدينة- هذه البشرى العظيمة حتى امتلأت قلوبهم فرحًا وسعادة وسرورًا بمقدم الحبيب ﷺ. فكانوا يخرجون فى كل يوم لاستقباله فإذا حان وقت الغروب كانوا يعودن والحزن يملأ قلوبهم. وفى اليوم الموعود وصل إلى مسامعهم بأن الحبيب ﷺ على مشارف المدينة فامتلأت شوارع المدينة كلها بالرجال والنساء والأطفال، الكل يريد أن يرى خير مخلوق عرفته البشرية كلها ﷺ. فلو اجتمعت أعياد الكون كله فى تلك اللحظة ما كانت تساوي جزءًا من ألف جزء من فرحة المسلمين بقدوم المصطفى ﷺ وما إن استقر الحبيب ﷺ بالمدينة حتى جاءته «أم سليم» رضي الله عنها ومعها أنس رضي الله عنه فقالت له: يا رسول الله ﷺ هذا أنيس ابني أتيتك به يخدمك، فادع الله

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣/ ٣٩٦).

له فقال: «اللهمَّ أكثر مالَهُ وولَدَهُ» قال أنس رضي الله عنه: فوالله إنَّ مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحو مئة اليوم[١].

وكان أنس رضي الله عنه يقول: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر، ومات وأنا ابن عشرين وكُنَّ أمهاتي يحثُثني على خدمة رسول الله ﷺ[٢].

وظل (أنس) رضي الله عنه ملازمًا للحبيب ﷺ وهو فى سعادة يعجز القلم عن وصفها، ولقد أحب النبي ﷺ حُبًّا مَلَكَ عليه لُبَّهُ وفؤاده وجوارحه.

قال أنس رضي الله عنه: ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف النبي ﷺ ولا شممت ريحًا قط - أو عرقًا قط - أطيب من ريح - أو عَرَق - النبي ﷺ[٣].

ومن خلال ملازمته للحبيب ﷺ تعلم الكثير والكثير من سنة الحبيب ﷺ ومن هديه وأخلاقه النبيلة وشمائله المباركة مما جعله من أكثر الصحابة علمًا بحديث النبي ﷺ بل ومن أكثرهم تشبهًا بالنبي ﷺ فى صلاته وعبادته وأخلاقه.

ولقد رأى أنس رضي الله عنه من النبي ﷺ من أخلاقه العذبة ما لم يرهُ غيره حتى إنه كان لا يصدق نفسه أحيانًا، ولسان حاله: هل هناك رجل فى هذا الكون كله بهذا الخلق الرفيع؟! لقد كان النبي ﷺ مُحلى بصفات الكمال المنقطعة النظير، وأدبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مثنيًا عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤] وكانت هذه الخلال مما قربت إليه النفوس، وحببَه إلى القلوب وصيرهُ قائدًا تهوي إليه الأفئدة، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء، حتى دخلوا فى دين الله أفواجًا[٤].

ولقد كان أنس رضي الله عنه يصف للناس الكثير والكثير من أخلاق الحبيب ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال: والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته لم فعلت

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٨١/ ١٤٣) فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس.
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢٩/ ١٢٥)، وابن سعد (٧/ ٢٠).
(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٦٥٤) المناقب.
(٤) «الرحيق المختوم» للمباركفوري (٥٣٧) [ط/ قرطبة].

كذا وكذا؟ أو لشيء تركته هلا فعلت كذا وكذا[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل، فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه، ولم ير مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له[٢].

وعن أنس ﷺ أيضًا قال: كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[٣].

وعن أنس ﷺ قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا إلا أعطاه قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاءً من لا يخشى الفاقة[٤]. - أي الفقر- .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: دخل علينا النبي ﷺ فقال (أي: نام للقيلولة) عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة، فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سليم! ما هذا الذي تصنعين؟» ، قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو أطيب الطيب - أي تضع عرقه في القارورة[٥].

وعن أنس ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ متى الساعة؟ قال: «ما أعددت لها؟» قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله، قال: «أنت مع مَنْ أحببت» قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت» فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم»[٦] فصحب أنس نبيه ﷺ أتم الصحبة ولازمه

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٩) الفضائل.
(٢) رواه أبو داود (٤٧٩٤)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٠٠٩).
(٣) أخرجه البخاري (٦٠٧٢) في الأدب، باب الكبر.
(٤) أخرجه مسلم (٢٣١٢) الفضائل.
(٥) أخرجه مسلم(٢٣٣١) الفضائل.
(٦) متفق عليه عن أنس، صحيح الجامع(٦٦٨٩).

أكمل المُلازمة منذ هاجر وإلى أن مات، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة[١].

وكان أنس رضي الله عنه حافظًا لسر رسول الله ﷺ حتى مع أحق الناس بصحبته وهي أمه، فعنه رضي الله عنه قال: أسر إليَّ نبي الله ﷺ فما أخبرتُ به أحدًا بَعْدُ، ولقد سألتني عنه أم سليم - أمه - فما أخبرتها به[٢].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، وإمام الخاشعين القانتين، صلاة وسلامًا دائمين ما دامت السموات والأرض.

أما بعد:

أما عن حزن أنس رضي الله عنه على فراق النبي ﷺ فقد كان شديدًا فبعد عشر سنوات قضاها أنس رضي الله عنه في خدمة الحبيب ﷺ وحل الحبيب إلى الرفيق الأعلى حتى أنه أحس أن الكون كله قد تغير لموت النبي ﷺ وأن الدنيا قد أظلمت من حوله.

عن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أبتاه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**». فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه: من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دُفِنَ قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي(٣/ ٣٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٨٢ / ١٤٦) فضائل الصحابة.

(٣) رواه البخاري(٧/ ٧٥٥) المغازي.

منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا»[١].

قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله - لما توفي ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ومنهم من أنكر موته بالكلية، وقال إنما بعث إليه[٢].

ولا شك أن موت النبي ﷺ من أعظم المصائب لأن بموته انقطع الوحي من السماء إلى يوم القيامة وانقطعت النبوات، وكان موته أول ظهور الشر والفساد بارتداد العرب عن الدين، فهو أول انقطاع عرى الدين ونقصانه وفيها غاية التسلية عن كل مصيبة تصيب العبد وغير ذلك من الأمور التي لا تحصى. قال رسول الله ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليتذكر مصيبته بي، فإنها من أعظم المصائب»[٣].

فاصبر لكل مصيبة وتجلد ∴ واعلم بأن المرء غير مخلدِ
واصبر كما صبر الكرام فإنها ∴ نوب تنوب اليوم تُكْشَفُ فى غَدِ
أو ما ترى أن المصائب جمة ∴ وتري المنية للعباد بمرصدِ
من لم يُصب ممن ترى بمصيبةٍ ∴ هذا سبيلٌ لست عنه بأوحدِ
فإذا ذكرت مصيبةً ومصابها ∴ فاذكر مُصابك بالنبي محمدِ

وعلى الرغم من ذلك فإن النبي ﷺ بيننا بشريعته الحية التي من سار عليها فلن يضل أبداً، فقد قال ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي،

---

(١) رواه الترمذي(١٣/ ١٠٤) المناقب، وصححه الألباني في مختصر الشمائل.
(٢) لطائف المعارف (١١٣-١١٤) باختصار.
(٣) رواه البيهقي عن ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤١٣).

ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض»[١].

ولقد أخبر النبي ﷺ عن الأجر العظيم لمن تمسك بدينه في زمان الفتن، فقال ﷺ: «**يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**»[٢].

عاش أنسُ بن مالك بعد وفاة الرسول ﷺ نيِّفًا وثمانين عامًا ملأ خلالها الصدور[٣] علمًا من علم الرسول الأعظم ﷺ وأترع فيها العقول فقهًا من فقه النبوة[٤] وأحيا فيها القلوب بما بثه بين الصحابة والتابعين من هدي النبي ﷺ وما أذاعه في الناس من شريف أقوال الرسول الأعظم ﷺ وجليل أفعاله.

وقد غدا أنس على طول هذا العمر المديد مرجعًا للمسلمين يفزعون إليه كلما أشكل عليهم أمرٌ ويُعَوِّلُونَ[٥] عليه كلما استغلق على أفهامهم حكم[٦].

ولقد ظل أنس بن مالك يعيش مع ذكر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ما امتدت الحياة، فكان شديد البهجة بيوم لقائه سَخِيَّ الدمعة على يوم فراقه، كثير الترديد لكلامه، حريصًا على متابعته في أفعاله وأقواله يُحِبُّ ما أحب ويكره ما كَرِهَ، وكان أكثر ما يذكره من أيامه يومان: يوم لقائه معه أول مرة، ويوم مفارقته له آخر مرة.

فإذا ذكر اليوم الأول سعد وانتشى، وإذا خطر له اليوم الثاني، انتحب وبكى وأبكى من حوله من الناس[٧].

وكثيرًا ما كان يقول: لقد رأيت النبي عليه الصلاة والسلام يوم دخل علينا ورأيته

---

(١) رواه الحاكم عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢٩٣٧).
(٢) رواه الترمذي عن أنس وصححه الألباني في صحيح الجامع(٨٠٠٢).
(٣) نيفاً: زيادة على.
(٤) أترع: ملأ.
(٥) يعولون: يعتمدون.
(٦) استغلق: أشكل عليهم وغمض.
(٧) انتشي: كأنه شم رائحة طيبة.

يوم قُبِضَ منا، فلم أر يومين يشبهانهما[١].

أما عبادة أنس ﷺ فقد قال أبو هريرة: ما رأيت أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سُليم - يعني أنسًا[٢].

وقال أنسُ بن سيرين: كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر[٣]، وعن ثمامة قال: كان أنس يصلي حتى تقطر قدماه دمًا مما يطيل القيام ﷺ[٤] وقال سليمان التيمي سمعت أنسًا يقول: ما بقي أحدٌ صلى القبلتين غيري[٥] وعن ثابت قال: كان أنس بن مالك إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم[٦].

أما عن كرامات أنس ﷺ الثابتة فعن ثابت البُنَاني قال جاء قَيِّمُ أرض أنسُ فقال: عطشت أرضوكِ فتردَّى أنسٌ ثم خرج إلى البرية ثم صلى، ودعا، فثارت سحابة وغشيت أرضه ومطرت حتى ملأت صهريجه وذلك في الصيف، فأرسل بعض أهله فقال انظر أين بلغت؟ فإذا هي لم تعد أرضه إلا يسيرًا[٧].

قال الإمام الذهبي - رحمه الله- : قلت: هذه كرامة بيِّنَة ثبتت بإسنادين[٨].

عباد الله؛ ومن كرامات أنس ﷺ أنه كان يرى النبي ﷺ وسلم كل ليلة في منامه قال المثنى بن سعيد: سمعت أنساً يقولُ: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي ثم يبكي[٩]. الله أكبر!!! تا الله إننا لنشتاق إلى رؤية الحبيب ﷺ ولو مرة واحدة

---

(١) صور من حياة الصحابة(ص١٤:١٣).
(٢) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد - وهو عند ابن عساكر (٣/ ٨٤ ب).
(٣) ابن عساكر(٣/ ٨٤)، نقلا من السير للذهبي(٣/ ٤٠٠).
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي(٣/ ٤٠٠).
(٥) أخرجه البخاري(٨/ ١٣١) تفسير سورة البقرة.
(٦) صفة الصفوة(١/ ٣٠٤).
(٧) ابن عساكر (٣/ ٨٥) نقلًا من السير للذهبي(٣/ ٤٠٠).
(٨) سير أعلام النبلاء للذهبي(٣/ ٤٠١).
(٩) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات أخرجه ابن سعد(٧/ ٢٠).

وأنس رضي الله عنه يراه كل ليلة في منامه. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

عباد الله: وبعد حياة طويلة مليئة بالسعادة والسرور لصحبته للحبيب ﷺ وبالتضحية والبذل والعطاء لرجائه فيما عند الله نام أنس بن مالك رضي الله عنه على فراش الموت ليلحق بالحبيب ﷺ بعد أن ملأ الدنيا كلها بحديث رسول الله ﷺ فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.. وجمعنا الله به وبالحبيب ﷺ في جنته ومستقر رحمته فرضي الله عن أنس وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم انصر الإسلام والمسلمينّ وأذلّ الشرك والمشركين ، اللهم احفظ أعراض المسلمين واحفظ دماء المسلمين واحفظ ديار المسلمين من كيد الكائدين، اللهم عليك بالصليبيين وكافة أعداء الدين، اللهم اجعلهم هم وأموالهم وديارهم غنيمة للإسلام والمسلمين ، اللهم ول أمور المسلمين خيارهم ولا تولها شرارهم يا رب العالمين، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة يا سميع الدعاء وقوموا إلى صلاتكم.

obeikandl.com

خباب بن الأرت ﷺ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل – خباب ابن الأرت ﷺ بينما كان هذا الصبي الذكي المبارك خباب بن الأرت يعيش بين أهله وأحبابه من قبيلة (بني تيم) إذ أغارت قبيلة أخرى على قبيلته فسبيت النساء واستاقت الأنعام وأخذت الذراري وكان هو من بينهم وظل خباب تتداوله الأيدي حتى وصل إلى مكة فاشترته (أم أنمار الخزاعية) من سوق النخاسين بعد أن رأت فيه ما يغريها على شرائه من صحة البدن وعلامات الذكاء والفطنة ومضت به إلى بيتها ثم دفعته بعد ذلك إلى قيْن – حداد – ليتعلم منه فن صناعة السيوف. وبالفعل لم تمض سوى فترة يسيرة حتى أتقن الغلام فن صناعة السيوف، بل وصار بارعًا في

صناعتها فاستأجرت له (أم أنمار) دُكَانًا ليتولى هو بنفسه صناعة السيوف ولتربح من ورائه الكثير والكثير. وكان الناس تزداد ثقتهم يومًا بعد يوم مما يرون من براعته في صناعة السيوف بل ومن صدقه وأمانته وأخلاقه الطيبة وبسمته التي لا تفارق وجهه.

وظل خباب على تلك الحالة وهو يفكر ليلًا ونهارًا ويقول في نفسه كيف الخلاص من تلك الجاهلية التي يعيشها الناس في تلك المجتمعات والتي هو كان ضحية من ضحاياها؟ ، وإذا بالنور يأتي ليشقَّ ظلام الجاهلية.. فيسمع خباب من الناس من حوله أن هناك فتىً يزعم أنه نبي وأن الله أرسله إليهم.. فأحس خباب أن الله أحياه في تلك اللحظة بهذا الخبر العظيم وفي التو واللحظة ترك دكانه ومضى إلى النبي ﷺ وأقدامه تسابق الريح.

إنه يبحث عن خيط، بل عن زورق النجاة في بحار الفتن، وها هو زورق النجاة جاء قريبًا منه وما عليه إلا أن يمسك بطرف الخيط ليركب هذا الزورق الذي فيه النجاة. وما إن رأى الحبيب ﷺ حتى دمعت عيناه وبسط يده ونطق الشهادتين، فكان سادس ستة أسلموا في هذا الكون كله لله - جل وعلا -.

أما ثبات خباب رضي الله عنه على المبدأ فعنه رضي الله عنه قال كنت قينًا بمكة، فعملت للعاص بن وائل سيفًا، فجئت أتقاضاه فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد. فقلت: لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبعث، فقال إذا بعثت كان لي مال فسوف أقضيك فقلت ذلك لرسول الله ﷺ فأنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾[مريم:٧٧] (١).

عباد الله: أما عن رحلة العذاب في سبيل الله بالنسبة لخباب رضي الله عنه فما أن لامس الإيمان شغف قلبه - الذي كان في أشد شوقه لهذا النور حتى قام لينفض غبار الجاهلية ويصدع بكلمة الحق لا يصده صاد ولا يرده راد، فقام وأعلن إسلامه.

---

(١) أخرجه البخاري(٨/ ٣٢٧).

وما إن وصل خبر إسلامه إلى أم أنمار حتى مضت إليه مع أخيها سباع بن عبد العُزَّى ومعهما مجموعة من فتيان خزاعة ، ومضوا إلى خباب وبعد أن تيقنوا من خبر إسلامه قاموا جميعًا يضربونه ويعذبونه أشد أنواع التعذيب.

فكانوا إذا اشتدت الهاجرة وكادت الشمس أن تذيب الصخور أخرجوه إلى بطحاء مكة ، ونزعوا عنه ثيابه وألبسوه دروع الحديد ومنعوا عنه الماء حتى إذا بلغ منه الجهد كل مبلغ طلبوا منه أن يكفر بدين محمد ﷺ وأن يقول خيرًا في اللات والعُزَّى، فيأبي خباب بكل عزة وثبات أن يفعل ما يريدون.

لقد كان حظ خباب من العذاب كبيرًا ولكن صبره وتضحيته من أجل الحق كانت أكبر وأعظم بكثير لقد كانوا يقاومون إيمانه بالعذاب وكان هو يقاوم العذاب بالصبر والتضحية وكان رضي الله عنه مولى لأم أنمار بنت سباع الخزاعية، فكان المشركون يذيقونه أنواعًا من التنكيل، يأخذون بشعر رأسه فيجذونه جذباً ويلوون عنقه تلوية عنيفة، وأضجعوه مرات عديدة على فحام ملتهبة ، ثم وضعوا عليه حجرًا حتى لا يستطيع أن يقوم[1].

لقد حولوا كل الحديد الذي كان عنده يصنع منه السيوف إلى قيود وسلاسل يحمي عليها في النار حتى تستعر وتتوهج ثم يطوقون بها جسده ويديه وقدميه.

حتى قال خباب شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بُرْدَةً في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟؟ فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فَيُجعل فيها، ثم يؤتي بالمنشار فيوضع على رأسه فَيُجعل نصفين ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[2].

---

(١) رحمة العالمين(١/ ٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٢٠٣) مناقب الأنصار.

إن النبي ﷺ لا يدخر جهدًا في نُصح أصحابه، وتربيتهم على الصبر والثبات والثقة بنصر الله - عز وجل - ووعده، فقد أتاه خباب بعد أن عُذِّبَ هذا العذاب الأليم والنبي ﷺ يُعلمه بل ويعلم الأمة كلها أن أصحاب الدعوة لابد لهم من الابتلاء، فإن ثبتوا على الحق وآثروا مراد الشرع نصرهم الله - عز وجل - فلا يتم التمكين إلا بعد المحنة والصبر والثبات[1] وتلك هي سُنَّة الله في عباد المؤمنين.. تلك السُّنَّة التي لا تتبدل ولا تتغير أبدًا.

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[العنكبوت:٢- ٣].

يقول ابن سعدي - رحمه الله - في تفسير هذه الآيات: يخبر تعالى عن [تمام] حكمته، وأن حكمته لا تقتضي أن كل مَنْ قال: إنه مؤمن وادعى لنفسه الإيمان أن يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والمحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك لم يتميز الصادق من الكاذب والمحق من المبطل، ولكن سنته وعادته في الأولين وفي هذه الأمة، أن يبتليهم في السراء والضراء والعسر واليسر، والمنشط والمكره، والغنى والفقر، وإدالة الأعداء عليهم في بعض الأحيان، ومجاهدة الأعداء بالقول والعمل ونحو ذلك من الفتن التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة، والشهوات المعارضة للإرادة، فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان ويجاهد شهوته دل ذلك على صدق إيمانه وصحته.

ومن كان عند ورود الشبهات تؤثر في قلبه شكًّا وريبًا، وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصرفه عن الواجبات دل ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير يخرج خبثها وطيبها[2].

---

(١) مواقف إيمانية لأحمد فريد (٢٥٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٢٦) فجر للطباعة / ابن سعدي.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله مفرج الكربات ومذلل العقبات، وغافر الذنوب والخطيئات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا.

أما بعد:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[البقرة:٢١٤].

قال ابن سعدي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: يخبر تبارك وتعالى: أنه لابد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة كما فعل بمن قبلهم، فهي سُنَّته الجارية التي لا تتغير ولا تتبدل، أن من قام بدينه وشرعه لابد أن يبتليه، فإن صبر على أمر الله ولما يبال بالمكاره الواقفة في سبيله فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة أعلاها. ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله بأن صدته المكاره عما هو بصدده، وثنته المحن عن مقصده، فهو الكاذب في دعوى الإيمان فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتمني ومجرد الدعاوي حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه، فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر الله عنهم (مستهم البأساء) أي الفقر (والضراء) أي الأمراض في أبدانهم وزلزلوا بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل والنفي وأخذ الأموال وقتل الأحبة، وأنواع المضار حتى وصلت بهم الحال وآل بهم الزلزال، إلى أن استبطأوا نصر الله مع يقينهم به ولكن لشدة الأمر وضيقه ﴿يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾.

فلما كان الفرج عند الشدة وكلما ضاق الأمر اتسع قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾.

فهكذا كل من قام بالحق فإنه يُمتحن فكلما اشتدت عليه وصعبت إذا صبر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة والمشقات راحات، وأعقبه ذلك الانتصار على الأعداء وشفاء ما في قلبه من الداء.

قال ابن القيم - رحمه الله -: والمقصود أن الله سبحانه اقتصت حكمته أنه لابد أن يمتحن النفوس ويبتليها فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها ومن يصلح لموالاته وكرامته وَمَنْ لا يصلح وليمحص النفوس التي تصلح له ويخلصها بكير الامتحان كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها من الجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية، فإن خرج في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم، فإذا هُذِّب العبد ونُقِّيَ أُذن له في دخول الجنة[1].

عباد الله: فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها مَلِكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه**»[2] فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارًا إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.

ولما أذن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لأصحابه بالهجرة إلى المدينة تهيأ خباب للخروج غير أنه لم يبارح مكة إلا بعد أن استجاب الله دعاءه على أم أنمار، فقد أصيبت بصداع لم يُسمع بمثل آلامه قط، فكانت تعوي من شدة الوجع كما تعوي الكلاب، وقام أبناؤها يستطبون لها في كل مكان، فقيل لهم: إنه لا شفاء لها من أو جاعها إلا إذا دأبت على كي رأسها بالنار.. فجعلت تكوي رأسها بالحديد

---

(١) زاد المعاد ابن القيم ٣/ ١٨) ط/ دار الرسالة.

(٢) السيرة لابن هشام(١/ ٢٦٦).

المحمى ، فتلقى من أوجاع الكي ما ينسيها آلام الصداع[١].

عباد الله: وبعد تلك الهجرة المباركة والنجاة من عذاب كفار قريش آن لهذا الجسد المتعب أن يستريح قليلاً ليسترد قواه وليبدأ مرحلة جديدة من العمل لهذا الدين. فذاق خباب طعم الراحة التي حرم منها زمانًا طويلًا. ذاقها لأول مرة عندما أسلم بين يدي الحبيب ﷺ وذاقها مرة أخرى يوم أن هاجر إلى المدينة والتقى بإخوانه من الأنصار. وها هو يبدأ صفحة جديدة مليئة بالجهاد والبذل والتضحية.. فيشهد مع النبي ﷺ غزوة بدر ثم يشهد غزوة أحد ويثلج الله صدره ويقر عينه برؤية سباع بن عبد العُزَّى أخي أم أنمار وهو يلقى مصرعه على يد أسد الله وأسد رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب ﷺ ، وشهد خبَّاب المشاهد مع رسول الله ﷺ وهو يتمنى أن ينال الشهادة في سبيل الله.

وطالت الحياة بخباب حتى أدرك عهد الخلفاء الأربعة - ﷺ - وكانوا يحبونه ويوقرونه ويعرفون له قدره ومنزلته. فها هو يدخل على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فأجلسه على متكئه فقال: ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد، قال له خباب: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: بلال، فقال خباب: ما هو بأحق مني.. إن بلالًا كان له من المشركين من يمنعه الله به، ولم يكن لي أحد يمنعني، فلقد رأيتني يوماً أخذوني فأوقدوا لي نارًا ثم سلقوني فيها، ثم وضع رجل رجله على صدري فما اتقيت الأرض - أو قال: برد الأرض - إلا بظهري، قال: ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص[٢].

وبعد عمر طويل مليء بالعذاب والبذل والتضحية نام خبَّاب على فراش الموت، وهو في أشد الشوق للقاء الحبيب ﷺ.

عن طارق بن شهاب قال: جاء خباباً نفرٌ من أصحاب محمد ﷺ فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله، إخوانك تقدم عليهم غدًا فبكي وقال: أما إنه ليس بي جزع، ولكن

---

(١) صور من حياة الصحابة(ص:٤٢٩).

(٢) الطبقات لابن سعد(٣/ ١١٧).

ذكرتموني أقواماً وسميتم لي إخوانًا، وإن أولئك مضوا بأجورهم كما هي، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم.

وعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: دخلنا على خباب بن الأرت في مرضه، فقال: إن في هذا التابوت ثمانين ألف درهم والله ما شددت لها من خيط، ولا منعتها من سائل، ثم بكي فقيل: ما يبكيك؟ فقال: أبكي أن أصحابي مضوا ولم تنقصهم الدنيا شيئًا وإنا بقينا بعدهم حتى ما نجد موضعًا إلا التراب.

وعن قيس بن أبي حازم قال: أتينا خباب بن الأرت نعوده وقد اكتوى في بطنه سبعًا، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن ندعوا بالموت لدعوت به، فقد طال مرضي ثم قال: إن أصحابنا الذين مضوا لم تنقصهم الدنيا شيئًا وإنا أعطينا بعدهم ما لا نجد له موضعًا إلا التراب[1].

وهكذا لم يحجب نفسه عن دين الله لحظة واحدة ولم يحجب ماله عن الفقراء طرفة عين، وفاضت روحه إلى بارئها ليجبر الله كسره في الجنة ولينسى العذب الذي كان في الدنيا ولينعم بصحبة الحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وتوفي خباب بالكوفة سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وصلى عليه عليّ ابن أبي طالب حين منصرفه من صفين، وهو أول من قُبِرَ بظهر الكوفة[2] وقال عليّ رضي الله عنه وهو واقف على قبره: رحم الله خبابًا فلقد أسلم راغباً وهاجر طائعًا وعاش مجاهدًا، فرضي الله عن خبَّاب وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم اجعلنا صالحين مصلحين وألحقنا بالصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل الدين، اللهم عليك بالصليبيين وكافة أعداء الدين اللهم زلزل الأرض من تحت أقدامهم واجعلهم وأموالهم وديارهم غنيمة للإسلام والمسلمين، اللهم أبرم لهذا الأمة أمر رشد يُعَزُّ فيه أهل الطاعة ويُذَلُّ فيه أهل المعصية ويؤمر فيه بالمعروف ويُنْهَى فيه عن المنكر يا سميع الدعاء، وقوموا إلى صلاتكم.

---

(١) صفة الصفوة (١/ ١٧٦).

(٢) صفة الصفوة(١/ ١٧٧).

سعد بن معاذ رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله : موضوعنا في هذا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل سعد ابن معاذ رضي الله عنه عمن قال فيه رسول الله ﷺ: «هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة». وهو الذي لما أسلم أشرقت المدينة كلها بإسلامه.. إنه الرجل الذي وقف موقفًا عظيمًا في غزوة بدر سطره على جبين التاريخ بسطور من النور، إنه الرجل الذي حكم بحكم الله من فوق سبع سموات.

عباد الله: إن السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما بالنسبة لعرش الرحمن كحلقة ألقيت في فلاة، يهتز لها هذا العرش لموت رجل مسلم، فيا ترى كيف يكون

قدر هذا الرجل الذي يهتز عرش الرحمن لموته.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن أحد أفضل منهم: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر[1].

قال المناوي: قال ابن القيم: كان سعد في الأنصار بمنزلة الصِّدِّيق أبي بكر في المهاجرين لا تأخذه في الله لومة لائم، وخُتِمَ له بالشهادة، وآثر رضى الله ورسوله على رضى قومه وحلفائه، ووافق حُكْمُهُ حكم الله من فوق سبع سموات، ونعاه جبريل عليه السلام يوم موته، فحق له أن يهتز العرش له. وهذا متواتر[2].

أما الحديث عن إسلام سعد بن معاذ رضي الله عنه فحديث طويل لا يتسع المقام لروايته، وملخصه أو الشاهد منه أن سعد كان سيداً في قومه، وكان مشركاً وقتها، فلما أرسل النبي ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه سفيرًا للدعوة إلى الله تعالى في المدينة المنورة، وأسلم سعد على يديه، فكان إسلامه فاتحة خير على المدينة كلها، فلقد كان إسلامه سببًا أن تشرق شمس الإسلام على المدينة كلها.

وهكذا أسلم سعد رضي الله عنه وحمل أمانة هذا الدين على عنقه وذهب يدعو الناس إلى دين الملك - جل وعلا - وقلبه يتلهب شوقًا لرؤية الحبيب ﷺ وهكذا تكون ثمرة الدعوة الرحيمة فلما أذن الله لحبيبه ﷺ بالهجرة فرح سعد بمقدم النبي ﷺ فرحًا لا يستطيع القلم وصفه وظل ملازمًا له يقبس من علمه وهديه وأخلاقه. وأحب النبي ﷺ حبًّا جعله يتمنى أن يفديه بنفسه وماله.

عباد الله: وها هي اللحظة التاريخية التي أظهر فيها سعد إيمانه وعقيدته وولاءه، فوقف موقفًا عظيمًا لنصرة هذا الدين.

لما تحول الموقف يوم بدر من مجرد الحصول على العير إلى قتال بين المسلمين والمشركين أراد النبي ﷺ أن يعرف رأي الصحابة قبل الدخول في تلك المعركة

---

(١) الإصابة للحافظ ابن حجر (٣/ ٧١).

(٢) فيض القدير للمناوي (٣/ ٦٤).

الحاسمة، فاستشار أصحابه- وقال: «أشيروا عليَّ أيها الناس» فتكلم أبو بكر الصِّدِّيق، فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب، فقال وأحسن، وكذلك المقداد ابن عمرو، وهؤلاء القادة الثلاثة الذين كانوا من المهاجرين وهم أقلية في الجيش، فأحب رسول الله ﷺ أن يعرف رأي قادة الأنصار؛ لأنهم كانوا يمثلون أغلبية الجيش؛ ولأن ثقل المعركة سيدور على كواهلهم مع أن نصوص العقبة - بيعة العقبة - لم تكن تلزمهم بالقتال خارج ديارهم فقال بعد سماع كلام هؤلاء القادة الثلاثة «أشيروا عليَّ أيها الناس» وإنما يريد الأنصار، وفطن إلى ذلك قائد الأنصار وحامل لوائهم سعد ابن معاذ، فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل» قال: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لما أردت فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عَدُوَّنا غدًا إنا لصُبْرٌ في الحرب صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منَّا ما تقرُّ به عينك، فسر بنا على بركة الله.

وفي يوم الأحزاب لما تكالبت قوى الشرك بكتائبها الهائجة وكادت تغرق القلة المؤمنة أراد رسول الله ﷺ أن يعقد صلحًا منفردًا بينه وبين غطفان، وسيديها عيينة بن حصن والحارث بن عوف، على أن تفك غطفان الحصار عن المدينة وتنسحب بجيوشها وتخذل الأحزاب على أن يعطيهم رسول الله ﷺ ثلث ثمار نخل المدينة، واستشار رسول الله السعدين سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم - يعني غطفان - لا يطمعون أن يأكلوا منَّا تمرة إلا قِرًى أو بيعًا وإن كانوا ليأكلون العلهز[1] في الجاهلية في الجهد، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنا بك وبه نُقْطِعَهُم أموالنا؟! ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

---

(١) العلهز: وبر يخلط بدماء اللحم كانت العرب في الجاهلية تأكله في الجدب ، والقرى: الضيافة.

ثم خرج سعد إلى سيدي غطفان، وقد رفع صوته في تحدٍّ: ارجعا، ليس بيننا وبينكم غير السيف. يا للرجال! في وقت بلغت القلوب الحناجر من شدة الكرب وتقاطر البلايا؟! كلمات تصدر من فم الصادق سعد، تتفجر منها ينابيع الرجولة والشجاعة والأنفة، فتبث الأمل في نفوس المسلمين وتدهش سيدي غطفان، فيفيقوا ويعلمهم سعد أن الذي يصنع النصر قوة العقيدة وزخم الإيمان بالله والثقة به[1].

أما عن أدب صديق الأنصار سعد بن معاذ مع النبي ﷺ ففي سيرة ابن هشام: أنه لما وصل سيد الأوس سعد بن معاذ إلى مقر قيادة النبي ﷺ في بني قريظة، قال له النبي ﷺ: «**احكم فيهم يا سعد**» فقال: إن رسول الله ﷺ أحق بالحكم، فقال النبي ﷺ «**قد أمَرَكَ الله أن تحكم فيهم**». غير أن سعدًا قد علم حرص قومه الأوس على التساهل في الحكم على حلفائهم اليهود - أحب أن يستوثق من الجميع، ويأخذ عليهم العهد - الأوس وبني قريظة - بأن حكمه إذا صدر يكون غير قابل للنقض أو النقاش، ووقف سعد بن معاذ في المعسكر النبوي، ووجه حديثه إلى قومه الأوس خاصة، وإلى من في المعسكر عامة، قائلًا: عليكم بذلك - عهد الله وميثاقه - أن الحكم كما حكمت؟ قالوا: نعم. ثم اتجه إلى النبي ﷺ وأشار إلى الناحية التي هو فيها، ثم قال وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالًا وإكبارًا: وعلى مَنْ هاهنا؟ وأشار إلى الخيمة التي فيها رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة وسلام «نعم» ثم أشار إلى بني قريظة[2] المحجوزين جانبًا في المعسكر، ليستوثق منهم قائلًا أترضون بحكمي؟ قالوا: نعم. فحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تُسْبَى النساء والذُّرِّيَّة، وأن تقسم أموالهم. ولما نطق سعد بن معاذ بالحكم قال له النبي ﷺ: «**حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات**». فانظر إلى أدب سعد أثناء الحكم وإشارته إلى خيمة رسول الله ﷺ وهو معرض عنها إجلالًا لرسول الله ﷺ.

---

(١) نقلًا عن علو الهمة، د/ سيد حسين (٣/ ٣٧١-٣٧٢).

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٤٠).

عباد الله: وها نحن نعيش من خلال تلك السطور مع تلك الكرامات التي حدثت لسعد بن معاذ رضي الله عنه تلك الكرامات التي تبهر العقول، وتحير الألباب.

فها هو الحبيب ﷺ يدخل على سعد وهو يكيد نفسه فقال: «**جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت ما وعدته وليُنْجِزَنَّكَ الله ما وعدك**»(١).

فها هو سعد بن معاذ يهتز لموته عرش الرحمن - جل جلاله - قال ﷺ: «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**»(٢).

وعن أسماء بنت يزيد بن سكن قالت: لما توفي سعد بن معاذ صاحت أمه فقال النبي ﷺ: «ألا يرقا دمعك ويذهب حزنك بأن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش؟»(٣).

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد سيد الأولين والآخرين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

وبعد:

قال الإمام النووي - رحمه الله -: قوله «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ» اختلف العلماء في تأويله، فقالت طائفة هو على ظاهره، واهتزاز العرش: تحركه فرحاً بقدوم روح سعد، وجعل الله تعالى في العرش تمييزاً، حصل به هذا ولا مانع

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات، أخرجه ابن سعد في الطبقات(٣/ ٢/ ٩).
(٢) متفق عليه عن جابر، وأخرجه مسلم، وأحمد عن أنس.
(٣) قال الهيثمي في المجمع(٩/ ٣٠٩) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في تلخيصه.

منه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[البقرة:٧٤]، وهذا القول هو ظاهر الحديث وهو المختار.

وقال المازري: قال بعضهم هو على حقيقته، وأن العرش تحرك لموته، قال وهذا لا يُنكَرُ من جهة العقل؛ لأن العرش جسم من الأجسام يقبل الحركة والسكون، قال: لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك إلا أن يقال: إن الله تعالى جعل حركتهُ علامة للملائكة على موته.

وقال آخرون: المراد اهتزاز أهل العرش، وهم حملته وغيرهم من الملائكة، فحذف المضاف والمراد ، بالاهتزاز الاستبشار والقبول، ومنه قول العرب: فلان يهتز للمكارم، لا يريدون اضطراب جسمه وحركته، وإنما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها، وقال الحربي: هو كناية عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء، فيقولون: أظلمت لموت فلان الأرض، وقامت له القيامة[1]

وقال الإمام الذهبي – رحمه الله –: والعرش خلق لله مسخر إذا شاء أن يهتز اهتز بمشيئة الله، وجعل فيه شعورًا لحب سعد، كما جعل تعالى شعورًا في جبل أحد يحبه النبي ﷺ وقال تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾[سبأ:١٠] وقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ﴾[الإسراء:٤٤] ثم عمم، فقال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[الإسراء:٤٤] وهذا حق.

وفي «صحيح البخاري» قول ابن مسعود رضي الله عنه: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وهذا باب واسع سبيله الإيمان[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه: «اهتز العرش لحب لقاء الله سعدًا»[3].

عباد الله: ومن كرامات سعد رضي الله عنه أن الملائكة كانت تحمل جنازته، فعن محمود

---

(١) مسلم بشرح النووي(١٦/ ٣٢).
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٩) السير للذهبي (١/ ٢٩٧).
(٣) أخرجه ابن سعد(٣/ ٢/ ١٢) والحاكم(٣/ ٢٠٦)وصححه وافقه الذهبي.

ابن لبيد قال: لما أصيب أكحلُ سعد، فثقل، حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة تداوي الجرحي. فكان النبي ﷺ إذا مر به يقول: كيف أمسيت وكيف أصبحت؟ فيخبره حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها، وثقل فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله، فقال: انطلقوا به، فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شموع نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه، فقال: «إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غسلت حنظلة» فانتهى إلى البيت وهو يغسل، وأمه تبكيه وتقول:

ويـــل أم ســـعـــد ســـعـــدا ∴ حـــــزامـــــةً وجِـــــدًّا

فقال: كُلُّ باكيةٍ تكذب إلا أم سعد ثم خرج به. قال: يقول له القوم: «ما حملنا يا رسول الله ميتًا أخَفَّ علينا منه»، قال: «ما يمنعه أن يخف وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطُّ قبل يومهم قد حملوه معكم»[1].

عباد الله: أما خبر ابن معاذ وضمة القبر، فعن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يومًا إلى سعد بن معاذ حين توفي، قال: فلما صلى عليه رسول الله ﷺ ووضع في قبره وسوِّي عليه سبَّح رسول الله ﷺ تسبيحًا طويلاً . ثم كبر فكبرنا، فقيل: يا رسول الله لم سبحت ثم كبرت؟ ، قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله – عز وجل – عنه»[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**هذا العبد الصالح الذي تحرك له العرش، وفتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمَّ ضَمَّةً ثم أفرج عنه**» يعني سعدًا[3] .

قال الإمام الذهبي – رحمه الله – قلت: هذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء،

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢/ ٧, ٨) وحسن الأرنؤوط في السير (١/ ٢٨٧).
(٢) أحمد (٣/ ٣٦٠، ٣٧٧).
(٣)أخرجه النسائي(٤/ ١٠٠) في الجنائز، باب ضمة القبر وضغطه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٩٨٧) .

بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك فهذه الأراجيف كُلها قد تنال العبد وما هي من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك، أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾[مريم:٣٩] وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾[غافر:١٨]. فنسأل الله تعالى العفو واللطف الخفي، ومع هذه الهزات، فسعد ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء ﷺ كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هول في الدارين ولا روع ولا ألم ولا خوف سل ربك العافية وأن يحشرنا في زمرة سعد[1].

يقول حسان بن ثابت يرثي سعد بن معاذ ﷺ :

لقد سجمت من دمع عيني عبرة ∴ وحُـقَّ لعيني أن تفيض على سعدِ
قتيل سـوى فى معرك فجعت به ∴ عيوب ذواري الدمع دائمة الوجدِ
عـلى مـلـة الـرحمـن وارث جنة ∴ مع الشهداء وفدها أكـرم الوفد
فـإن تـكُ قـد ودعـتـنـا وتركتنا ∴ وامسيت فى غـبراء مظلمة اللحدِ
فأنت الـذي يا سعد ابت بمشهدٍ ∴ كريم وأثـــواب المكـارم والمجد
بحكمك فى حـيّ قريظة بالذي ∴ قضى الله فيهم ما قضيت على عمدِ
فـوافـق حكم الله حكمك فيهم ∴ ولم تعفُ إذ ذكرتَ ما كان من عهدِ
فإن كان ريب الدهر أمضاك فى الآلي ∴ شروا هـذه الدنيا بجناتها الخلدِ
فنعم مصير الصادقين إذا دُعـوا ∴ إلى الله يـومـاً للوجاهة والقصد

(١) السيرة للإمام الذهبي(١/ ٢٩٠-٢٩١).

عباد الله: لقد أخبر النبي ﷺ عن مناديل سعد في الجنة، وفي ذلك دليل على أن سعد من أهل الجنة فعن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء يقول: أهديت لرسول الله ﷺ حُلَّةُ حرير، فجعل أصحابه يلمسونها ويعجبون من لينها، فقال: «**أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد في الجنة، خير منها وألين**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه أنه أهدى لرسول الله ﷺ جُبَّةً من سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: «والذي نفس محمد بيده إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذه»(٢)

قال الإمام النووي -رحمه الله- قال العلماء: هذه إشارة إلى عظيم منزلة سعد في الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه؛ لأن المنديل أدني الثياب؛ لأنه معد للوسخ والامتهان فغيره أفضل، وفيه إثبات الجنة لسعد(٣)

عباد الله: لقد كان صديق الأنصار سعد بن معاذ رضي الله عنه قمة سامقة في علو الهمة في الصدق بعد الصِّدِّيق الأكبر رضي الله عنه.

قال سعد بن معاذ رضي الله عنه: ثلاثة أنا فيهن قوي، وفيما سواهن ضعيف ما صليت صلاة منذ أسلمت فَحَدَّثْتُ نفسي حتى أفرغ منها، ولا شَيَّعْتُ جنازة، فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها، حتى يفرغ من دفنها، وما سمعت رسول الله ﷺ يقول إلا علمتُ أنه حقٌّ، فقال ابن المسيب: ما ظننت أن هذه الخصال تجتمع إلا في النبي ﷺ.

وبعد حياة طويلة مليئة بالبذل والتضحية رحل سعد بن معاذ ليلحق بحبيبه ﷺ وأصحابه - رضي الله عنه - فرضي الله عن سعد وعن سائر الصحابة أجمعين اللهم ألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم ألحقنا بالصالحين، واجعلنا من ورثة جنة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٦٨) عن البراء.
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٦٩).
(٣) مسلم بشرح النووي (١٦/ ٣٤).

النعيم، وأرض اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم من ولي أمر المسلمين فيسر لهم فيسر أمره وأصلح شأنه، ومن ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه ولا تجعل له في أرضك تمكينا ، اللهم انصر الإسلام وأهله واخذل الشرك وأهله، اللهم عليك باليهود الغاصبين.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وقوموا إلى صلاتكم .

obeikandl.com

عُمير بن سعد رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل لـه ، ومن يُضلل فـلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل عمير بن سعد رضي الله عنه عن رجل قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وددت أن لي رجالًا مثل عمير ابن سعد أستعين بهم في أعمال المسلمين» لقد نشأ (عمير) يتيمًا وتجرع مرارة اليتم والفقر منذ نعومة أظفاره، فقد مات أبوه وهو طفل صغير ولم يترك له شيئًا من حطام الدنيا.

وبعد فترة تزوجت أمه من رجل ثري اسمه (الجُلاس بن سويد) فاحتضن الجلاس عميرًا واعتبره ابنًا له، وأغدق عليه من كل صنوف الخير حتى جعله ينسى أنه يتيم. وتمر الأيام وتمضي الأعوام وما زالت المحبة تزداد بينهما شيئًا فشيئًا. ولقد

أسلم عمير وهو لم يجاوز العاشرة من عمره إلا قليلًا وتغلغل الإيمان في أعماق قلبه، ورسخت جذوره وارتفعت أغصانه حتى بلغت عنان السماء، وها هي شجرة الإيمان تثمر له الخشوع والخوف والحب والرجاء والإنابة فقد كان عمير عابدًا زاهدًا.

وظل عمير يعيش حياة هادئة مطمئنة، كيف لا وهو الذي امتلأ قلبه حُبًّا لله وحُبًّا لرسول الله ﷺ.

عباد الله: وفي السنة التاسعة من الهجرة المباركة علم النبي ﷺ أن الرومان يستعدون للقيام بغزوة حاسمة ضد المسلمين. فعزم النبي ﷺ على غزوة الروم في «تبوك»، ولما قرر رسول الله ﷺ الموقف أعلن فى الصحابة أن يتجهزوا للقتال، وبعث إلى القبائل من العرب وإلى أهل مكة يستنفرهم، وكان قل ما يريد غزوة يغزوها إلا ورَّى بغيرها، ولكنه نظرًا إلى خطورة الموقف وإلى شدة العسرة أعلن أنه يريد لقاء الرومان وجلى للناس أمرهم - وَضَّحَ - ليتأهبوا أهبة كاملة، وحضهم على الجهاد، ونزلت قطعة من سورة براءة - التوبة - تثيرهم على الجلاد، وتحثهم على القتال. ورغبهم رسول الله ﷺ في بذل الصدقات، وإنفاق كرائم الأموال في سبيل الله ولم يكن من المسلمين إلا أن سمعوا صوت رسول الله ﷺ يدعو إلى قتال الروم، حتى وتسابقوا إلى امتثاله، فقاموا يتجهزون للقتال بسرعة بالغة، وأخذت القبائل والبطون تهبط إلى المدينة من كل صوب وناحية، ولم يرض أحد من المسلمين أن يتخلف عن هذه الغزوة - إلا الذين في قلوبهم مرض وإلا ثلاثة نفر - حتى كان يجيء أهل الحاجة والفاقة يستحملون رسول الله ﷺ ليخرجوا إلى قتال (أي: يطلبون أن يحملهم) الروم فإذا قال لهم: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾[التوبة:٩٢] كما تسابق المسلمون فى إنفاق الأموال، وبذل الصدقات، وكان عثمان بن عفان قد جاء بألف دينار فنثرها فى حجره ﷺ فكان رسول الله ﷺ يقلبها، ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» ثم تصدق وتصدق حتى بلغ مقدار صدقته تسعمائة بعير، ومائة

فرس، سوي النقود[1].

وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة، وجاء أبو بكر بماله كله، ولم يترك لأهله إلا الله ورسوله، وكانت أربعة آلاف درهم، وهو أول من جاء بصدقته، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء العباس بمال كثير، وجاء طلحة وسعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة، كلهم جاءوا بمال، وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسْقًا من التمر، وتتابع الناس وبعثت النساء ما قدرت عليه من مسك، ومعاضد، وخلاخل، وقرط، وخواتم ولم يمسك أحد يده، ولم يبخل بماله إلا المنافقون ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾[التوبة:٧٩].

وكانت تلك المشاهد التاريخية التي رآها (عمير) أمام عينيه من البذل والإنفاق والتضحية تُعْرَضُ أمام عينيه وكأنها خيال لا يحدث إلا في دنيا الأحلام، وما زالت تلك المشاهد يراها بعينيِ قلبه حتى عاد إلى بيته وهو يسأل نفسه سؤالًا لم يجد له إجابة: ما الذي جعل (الجلاس) يُعرض عن الإنفاق على الرغم من أنه يملك ثروة كبيرة؟! وبينما هو فى هذا التساؤل وإذا به يجد الجلاس أما عينيه فاغتنمها فرصة لا تعوض وأخذ يقص عليه ما رآه من تسابق الصحابة رضي الله عنهم إلى البذل والإنفاق والتضحية. وكان عمير يتوقع أن يذهب الجلاس فى تلك الساعة لينفق من أمواله، ولكنه فوجئ بالجُلاس يقول كلمة تخرجه من الإسلام جملة واحدة. قال له الجُلاس: والله لئن كان هذا الرجل - يعني النبي ﷺ- صادقًا فيما يقول لنحن شر من الحمير! لقد شده- دهش وتحير- عمير مما سمع ؛ فما كان يظن أن رجلًا له عقل الجُلاس وسِنَّهُ، تندّ- تندّ: تشرد- من فمه مثل هذه الكلمة التي تخرج صاحبها من الإيمان دفعة واحدة، وتدخله في الكفر من أوسع أبوابه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٠٢)، وأحمد(٥/ ٦٣)، والحاكم(٣/ ١٠٢) وصححه، ووافقه الذهبي.

وكما تنطلق الآلات الحاسبة الدقيقة فى حساب ما يُلقى إليها من المسائل انطلق عقل الفتى عمير بن سعد يفكر فيما يجب عليه أن يصنعه، لقد رأى أن في السكوت عن الجلاس والتستر عليه خيانة لله ورسوله، وإضرارًا بالإسلام الذي يكيد له المنافقون ويأتمرون به[1] وأن في إذاعة ما سمعه عقوقًا بالرجل الذي ينزل من نفسه منزلة الوالد، ومجازاة لإحسانه إليه بالإساءة، فهو الذي آواه من يتم وأغناه من فقر وعوضه عن فقد أبيه. وكان على الفتى أن يختار بين أمرين أحلاهما مر، وسرعان ما اختار، فالتفت إلى الجلاس وقال: والله يا جُلاس ما كان على ظهر الأرض أحدٌ بعد محمد ابن عبد الله أَحَبَّ إليَّ منك، فأنت آثر الناس عندي، وأجلهم يدًا عليَّ، ولقد قلت مقالة إن ذكرتها فضحتك وإن أخفيتها خنت أمانتي وأهلكت نفسي وديني وقد عزمت على أن أمضي إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما قلت فكن على بينة من أمرك.

مضى الفتى عُمير بن سعد إلى المسجد، وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام بما سمع من الجُلاس بن سويد فاستبقاه الرسول - صلوات الله عليه - وأرسل أحد أصحابه ليدعو له الجُلاس، وما هو إلا قليل حتى جاء الجلاس فحيا رسول الله ﷺ وجلس بين يديه، فقال له النبي ﷺ: «**ما مقالة سمعها منك عمير بن سعد؟**» وذكر له ما قاله، فقال الجُلاسُ: كذب عليَّ يا رسول الله وافترى فما تفوهت بشيء من ذلك.

والتفت الرسول ﷺ إلى عمير فرأى وجهه قد احتقن بالدم والدموع تَتَحَدَّر مَدرارًا[2] من عينيه، فتتساقط على خديه وصدره وهو يقول: اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به.

اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به.

---

(١) يأتمرون به: يحدث بعضهم بعضًا بإيذائه.

(٢) احتقن بالدم: تجمع الدم منه.

فانبرى الجُلاس- برز واندفع- وقال: إنَّ ما ذكرته لك يا رسول الله هو الحق، وإن شئت تحالفنا- حلف كل منا على صحة كلامه- بين يديك، وإني أحلف بالله أني ما قلت شيئًا مما نقله لك عمير. فما إن انتهى من حلفه وأخذت عيون الناس تنتقل عنه إلى عمير بن سعد حتى غشيت رسول الله ﷺ السكينة [1]، فعرف الصحابة أنه الوحي، فلزموا أماكنهم وسكنت جوارحهم، ولاذوا بالصمت[2] وتعلقت أبصارهم بالنبي ﷺ.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلى على الظالمين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين وإمام الخاشعين القانتين، صلاة وسلامًا دائمين ما دامت السموات والأرض.

أما بعد:

عباد الله: وهنا ظهر الخوف والوجل على الجلاسُ ، وبدأ التلهفُ والتشوف -التطلع- على عمير، وظل الجميع كذلك حتى سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ فتلا قوله جل وعلا: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[التوبة:٧٤] فارتعد الجُلاس من هول ما سمع، وكاد ينعقد لسانه من الجزع، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ .

وقال: بل أتوب يا رسول الله. بل أتوب. صدق عمير يا رسول الله وكنت من

---

(١) غشيته السكينة: نزلت عليه وغطته.

(٢) لاذوا بالصمت: التزموا الصمت وانقطعوا عن الكلام.

الكاذبين. اسأل الله أن يتقبل توبتي جُعِلْتُ فداك يا رسول الله.

وهنا توجه الرسول ﷺ إلى الفتى عمير بن سعد، فإذا دموع الفرح تُبَلِّلُ وجهه المشرق بنور الإيمان. فمد الرسول يده الشريفة إلى أذنه وأمسكها برفق وقال: «وَفَّتْ أُذُنُكَ يا غلام ما سمعت وصدقك ربك». عاد الجلاس إلى حظيرة الإسلام وحَسُنَ إسلامه، وقد عرف الصحابة صلاح حاله مما كان يُغْدِقه[1] على عمير من بر وقد كان يقول كلما ذكر عمير: جزاه الله عني خيرًا، فقد أنقذني من الكفر، واعتق رقبتي من النار.

وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان لا يحابي أحدًا ولا يجامل أبدًا في دين الله، أراد أن يختار واليًا على مدينة (حمص) وكان رضي الله عنه يشترط شروطًا في هؤلاء الولاة لا تكاد تسمع عنها إلا في دنيا الأحلام فكان يختارهم من الزاهدين الورعين الصادقين المخبتين الصائمين القائمين الذين يفرون من الإمارة ولا يرغبون فيها. فكان يقول في نفسه: [أريد رجلًا إذا كان في القوم، وليس أميرًا عليهم بدا وكأنه أميرهم، وإذا كان فيهم وهو عليهم أمير، بدا وكأنه واحد منهم!] .

أريد واليًا، لا تميز نفسه على الناس في ملبس ولا في مطعم ولا في مسكن، يقيم فيهم الصلاة، ويقسم بينهم بالحق، ويحكم فيهم بالعدل، ولا يغلق بابه دون حوائجهم[2].

وفي تلك اللحظة تبادر إلى ذهن عمر (عمير بن سعد) فاختاره كما اختار من قبله (سعيد بن عامر) ليكمل من بعده مسيرة الزهد والورع والعدل والتضحية.

وكان عمير وقتها يجاهد في سبيل الله في بلاد الشام فدعاه أمير المؤمنين عمر وعهد إليه بولاية «حمص» فحاول عمير أن يعتذر عنها، لكن أمير المؤمنين ألزمه بها إلزامًا فأذعن عمير لأمره على كُرْهٍ منه، لأنه كان يتمنى أن يظل عمره كله في الجهاد

---

(١) يغدقه: يعطيه بسخاء.

(٢) «رجال حول الرسول ﷺ» خالد محمد خالد (ص ٤٨).

لكي يرزقه الله الشهادة في سبيله. وذهب عمير إلى مدينة «حمص» ليبدأ الولاية بتلك الكلمات التي سطرها على جبين التاريخ بسطور من نور، فما إن دخل المدينة حتى جمع الناس إلى صلاة جامعة، فلما انقضت الصلاة خطب في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال: ألا إن الإسلام حائط منيع وباب وثيق، فحائط الإسلام العدل وبابه الحق فإذا نُقِضَ الحائط وحطم الباب استفتح الإسلام، فلا يزال الإسلام منيعًا ما اشتد السلطان، وليس شدة السلطان قتلًا بالسيف ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاءً بالحق وأخذًا بالعدل [١].

وبتلك الكلمات الناصعة بدأ عمير حياته في مدينة حمص ومكث فيها عامًا كاملًا لا يصل منه أي شيء إلى أمير المؤمنين فكتب إليه (عمر): إذا وصلت رسالتي فأقبل بما جبيت من الفيء فأخذ جرابه وقصعته وعلق إداوته، وأخذ عنزته[٢]، وأقبل راجلًا يمشي على رجليه فدخل المدينة، وقد شَحُبَ، وأغبرَّ، وطال شعره، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال: ما شأنك؟ قال: ألَستُ صحيح البدن، معي الدنيا! ، فظن عمر أنه جاء بمال، فقال: جئت تمشي؟ ، قال: نعم. قال: أما كان أحد يتبرع لك بدابة؟ قال: ما فعلوا، ولا سألتهم. قال: بئس المسلمون! .

قال: يا عمر، إن الله قد نهاك عن الغيبة. فقال: ما صنعت؟ قال: الذي جبيته وضعته مواضعه ولو نالك منه شيء، لأتيتك به، قال جددوا لعُمير عهدًا. قال: لا عملت لك ولا لأحد [٣].

وأستأذن عُمير عُمَرا أن يذهب إلى أهله في قرية من ضواحي المدينة فأذن له. وبعد فترة ليست بالطويلة أراد عمر رضي الله عنه أن يختبر صدق عمير ليطمئن قلبه من اختياره للولاية وحفظه للأمانة.

فبعث رجلًا يقال له: الحارث وأعطاه مائة دينار وقال: انطلق إلى عمير حتى

---

(١) الطبقات لابن سعد (٤/ ٢٧٧).

(٢) عَنَزَته: عصًا في قدر نصف الرمح أو أكبر يُتَوكأ عليها.

(٣) «السيرة» للإمام الذهبي (٢/ ٥٦١) بتصرف.

تنزل به كأنك ضيف فإن رأيت أثر شيء من الثروة فأقبل وإن رأيت حالًا شديدًا فأدفع إليه هذه المائة الدينار، فانطلق الحارث فإذا هو بعمير جالس يغلي قميصه إلى جنب الحائط فقال له عمير: إنزل رحمك الله. فنزل ثم سأله فقال: من أين جئت؟ فقال: من المدينة. فقال: كيف تركت أمير المؤمنين؟ فقال صالحًا، قال: فكيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين. قال: أليس يقيم الحدود؟ قال: بلى ضرب ابنًا له على فاحشة. فقال عمير: اللهم أعن عمر فإني لا أعلمه إلَّا شديد الحب لك.

قال: فنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلى قرصة من شعير كانوا يخصونه بها ويطوون حتى أتاهم الجهد فقال له عمير: إنك قد أجعتنا فإن رأيت أن تتحول عنا فأفعل. قال: فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال: بعث بها أمير المؤمنين فاستعن بها. قال: فصاح وقال: لا حاجة لي فيها فردها.

فقالت له امرأته: إن احتجت إليها وإلا فضعها في مواضعها. فقال عمير: والله ما لي شيء أجعلها فيه فشقت المرأة أسفل درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء. فرجع الحارث إلى عمر فقال: رأيت يا أمير المؤمنين حالًا شديدًا! قال: فما صنع بالدنانير؟ قال: لا أدري. قال: فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تقبل، فأقبل إلى عمر فدخل عليه فقال له عمر: ما صنعت بالدنانير؟ قال: صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها؟ قال أنشد عليك لتخبرني ما صنعتَ بها؟ قال: قدمتها لنفسي في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون. قال: رحمك الله فأمر لي بوسق من طعام وثوبين قال: أما الطعام فلا حاجة لي فيه قد تركت في المنزل صاعين من شعير إلى أن آكل ذلك يكون قد جاء الله بالرزق (ولم يأخذ الطعام). وأما الثوبان؛ فإن أم فلان عارية ☐ يعني: زوجته- فأخذهما وعاد إلى أهله[1].

عباد الله: وظل عمير بن سعد ﷺ حياته كلها زاهدًا ورعًا لا يريد الولاية ولا المناصب، بل لا يريد الدنيا بأسرها فهو يريد أن يلحق بنبيه ﷺ ويخشى أن تحول

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٢٩٧-٢٩٨) بتصرف.

الدنيا بينه وبين تلك الأمنية الغالية. ولم يلبث طويلًا حتى فاضت روحه إلى بارئها ليلحق بحبيبه وقرة عينه محمد ﷺ. فبلغ ذلك عمر فشق عليه وترحَّم عليه وخرج يمشي ومعه المشاؤون إلى بقيع الغرقد فقال لأصحابه: ليتمنى كل رجل منكم أمنية. فقال رجل: يا أمير المؤمنين وددت أن عندي مالًا أنفقه في سبيل الله، وقال آخر: وددت أن لي قوة فأميح بدلو زمزم لحجاج بيت الله، فقال عمر بن الخطاب: وددت أن لي رجالاً مثل عمير بن سعد أستعين بهم في أعمال المسلمين [1].

عباد الله: نسأل الله أن يلحقنا بعباده الصالحين وصل الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعلى سائر الصحابة والتابعين.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين ، واخذل الشرك والمشركين ، اللهم ولِّ أمورنا خيارنا ، ولا تولها شرارانا ، اللهم آمنا في دورنا وأصلح اللهم ولاة أمورنا يا سميع الدعاء ، وقوموا إلى صلاتكم .

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٢٩٨).

openkandl.com

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

كان هذا الرجل يرعى الغنم، فجاء الإسلام فصنع منه قمة تضيء سماء الإسلام، ذلك هو شأن الإيمان إذا عُمِّقَتْ جذوره، وقوي سلطانه على النفس، إنه يمد صاحبه بيقين لا يهن، وهمة لا تني، وأمل لا يخبو، ودافع لا يتوقف، وعزم لا يخور، وهو يملك الدنيا ولكنها لا تملكه، ويجمع المال ولكنه لا يستعبده، وتحيط به النعمة ولكنها لا تبطره، وينزل به البلاء ولكنه لا يقهره، لا تزيده الشدائد إلا عزيمة مع عزيمته وقوة إلى قوته، كالذهب الأصيل لا تزيده النار إلا نقاءً وصفاءً.

وأنا أسألكم بالله، من كان يُصَدِّق أن مجموعة قليلة العدد ضئيلة العدة من جزيرة العرب، لم يكن لهم فلسفة اليونان، ولا مدنية الرومان، ولا حكمة الهند، ولا صنعة الصين، تملك الدنيا بزمامها، وترث ملك الأكاسرة وتحطم إمبراطورية القياصرة وتنشر دينًا جديدًا، وحضارة جديدة في الآفاق، وفي أقل من ربع قرن من الزمان. إننا على موعد مع الرجل الذي كان النبي ﷺ يحب أن يسمع منه القرآن، إنه الرجل الذي شهد له النبي ﷺ بأن ساقيه في الميزان يوم القيامة أثقل من جبل أحد. إننا على موعد مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الإمام الحبرُ فقيه الأمة. كان من السابقين الأولين ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين وكان يوم اليرموك على النفل ومناقبه غزيرة روي علمًا كثيرًا [١].

أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، ويقال: كان سادسًا في الإسلام وشهد المشاهد كلها وكان صاحب سر رسول الله ﷺ ووساده، وسواكه، ونعليه، وطهوره في السفر، وكان يُشَبَّه بالنبي ﷺ في هديه، ودلّه، وسمته، وكان خفيف اللحم قصيرًا شديد الأدمة. وكان من أجود الناس ثوبًا ومن أطيب الناس ريحًا وولي قضاء الكوفة، وبيت المال لعمر وصدرًا من خلافة عثمان ثم صار إلى المدينة، فمات بها سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين [٢].

أما كيف كانت قصة إسلامه فتعالوا بنا لنبدأ قصته من أولها.

لقد كان لإسلامه قصة يحلو ذكرها وتأنس النفوس وتطيب القلوب بتكرارها.

فقد كان ابن مسعود يرعى الغنم لسيد من سادات قريش ألا وهو عقبة بن أبي معيط. وكان ابن مسعود مخلصًا أمينًا ورعًا على الرغم من أنه لم يسمع بعد عن الإسلام وما يدعو إليه من الأمانة والصدق والإخلاص. وفي يوم من الأيام كان ابن مسعود رضي الله عنه على موعد مع شمس الهداية ومع النور الإلهي فقد جاء الحبيب

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١/ ٤٦١).
(٢) «صفوة الصفوة» (١/ ١٦٣).

ﷺ بخيري الدنيا والآخرة.

ولنترك الحديث لابن مسعود رضي الله عنه ليقص علينا قصته مع النبي ﷺ. عن ابن مسعود قال: كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعيط، فمر بي رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال: «يا غلام! هل من لبن؟» قلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: «فهل من شاه لم ينز عليها الفحل؟» - أي: لا تُدر لبنًا - فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبن فحلب في إناء فشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع اقلص - أي: أنضم وأمسك عن إنزال اللبن - فقلص. (زاد الإمام أحمد) : قال: ثم أتيته بعد هذا، ثم اتفقا فقلت: يا رسول الله! علمني مِن هذا القول، فمسح رأسي، وقال: «**يرحمك الله إنك غُلَيِّمٌ مُعَلَّم**» (١).

وفى رواية قال ابن مسعود: فأتيته بعد ذلك، فقلت: علمني من هذا القول! قال: إنك غلام مُعَلَّم، فأخذت من فيه - فمه- سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد(٢).

لقد أنبهر عبد الله بن مسعود حين رأى عبد الله الصالح ورسوله الأمين ﷺ يدعو ربه، ويمسح ضرعًا لا عهد له باللبن بعد، فإذا هو يعطي من خير الله ورزقه لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، وما كان يدري يومها أنه إنما يشهد أهون المعجزات وأقلها شأنًا وأنه عما قريب سيشهد من هذا الرسول الكريم معجزات تهز الدنيا، وتملؤها هدى ونورًا. بل ما كان يدري يومها أنه وهو ذلك الغلام الفقير الضعيف الأجير الذي يرعي غنم عُقبة بن أبي مُعيط سيكون إحدى هذه المعجزات يوم يجعل الإسلام منه مؤمنًا يهزم بإيمانه كبرياء قريش، ويقهر جبروت ساداتها(٣) لم يمض غير قليل حتى أسلم عبد الله بن مسعود وجعل نفسه في خدمة النبي ﷺ وياله من مكانة عظيمة تعانق كواكب الجوزاء. بعد أن كان ابن مسعود يرعي الأغنام وإذا به

---

(١) قال الأرنؤوط: إسناده حسن: أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩).

(٢) قال الأرنؤوط: رواه سعد في «الطبقات» (٣/ ١١١)، وأحمد (١/ ٤٦٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٢٥) وإسناده حسن.

(٣) «رجال حول الرسول ﷺ» (٢٢٩).

ينتقل إلى خدمة سيد الأنام ﷺ.

أما مكانة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عند الله - عز وجل - فقد كان رضي الله عنه من بين هؤلاء الصحب الكرام الذين أنزل الله في شأنهم قرآنًا يوصي فيه النبي ﷺ بألا يطردهم من مجلسه، بل يقربهم إليه فهم الذين سيبذلون دماءهم وأموالهم وأنفسهم لنصرة هذا الدين. عن سعد قال: كنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة، فقال المشركون: اطرد هؤلاء عنك فلا يجترئون علينا، وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل ورجلان نسيت اسميهما فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله وحدث به نفسه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾[الأنعام:٥٢][1].

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن عبد الله ابن مسعود من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة[2].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله الذي إذا سئل أعطى وإذا دعي أجاب، له الملك وله الأمر، وإذا قال للشيء: كن، كان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

لقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أول من جَهَر بالقرآن في أوساط المشركين ليعلِّم الكون كله درسًا عظيمًا في العمل لهذا الدين والدعوة إلى الله في أشد المواقف. عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال: كان أول من جهر بالقرآن - بعد رسول

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤١٣) (٤٦) «فضائل الصحابة».

(٢) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥٤٨)، والحاكم (٣/ ٣١٥)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لها به قط، فمن رجل يُسْمِعُهمُوه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلًا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دَعوني فإن الله سيمنعني قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ « ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:١]، رافعًا بها صوته ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن:٢]، ثم قال: ثم استقبلها يقرؤها قال: فتأملوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم أنصرف إلى أصحابه وقد أثَّروا في وجهه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدًا، قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون [١].

عباد الله: وظل ابن مسعود رضي الله عنه ملازمًا للحبيب ﷺ لا يفارقه في ليله أو نهاره وفي حله أو ترحاله. فاقتبس الكثير والكثير من هدي النبي ﷺ وأخلاقه وعلمه حتى أصبح من أقرب الناس سمتًا وهديًا بالنبي ﷺ. فعن عبد الرحمن بن يزيد قال: سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ حتى نأخذ عنه فقال: ما أعرف أحدًا أقرب سمتًا وهديًا ودلًا بالنبي ﷺ من ابن أم عبد» يعني ابن مسعود [٢].

وبلغت مكانته رضي الله عنه عند النبي ﷺ درجة عظيمة لا تخطر ببال فقد أذن له النبي ﷺ بالدخول عليه متى شاء فقال له ذات مرة: « إذنك على أن يُرفع الحجابُ وأن

---

(١) إسناده صحيح، وذكر القرطبي في تفسير عن عروة بن الزبير (٧/ ١٤٧)، وأخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٣٣٤، ٣٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦٢)، والترمذي (٣٨٠٧)، وأحمد (٥/ ٣٨٩، ٤٠١).

تسمع سوادي [١] حتى أنهاك»[٢]. حتى إن بعض الصحابة ﷺ كانوا يظنون في بادئ الأمر أن ابن مسعود ﷺ من آل بيت النبي ﷺ من كثرة دخوله عليه. فعن الأسود بن يزيد قال: سمعت أبا موسى الأشعري ﷺ يقول: «قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حينًا ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ [٣].

أما عن جهاد عبد الله بن مسعود ﷺ في سبيل الله فلقد شهد ابن مسعود المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما تخلف أبدًا عن مشهد منها، بل لقد كان له في يوم بدر موقفًا عظيمًا عندما قتل أبا جهل، وذلك بعد أن أثبته (ابنا عفراء) فقال النبي ﷺ: «من ينظر ما صنع أبو جهل؟» فأنطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه (ابنًا عفراء) حتى برد، قال أأنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيته قال: وهل فوق رجل قتلتموه أو رجل قتله قومه [٤].

فائدة: ولقد جمع الحافظ ابن حجر بين الروايات فيمن قتل أبا جهل من الأربعة المتقدمين «معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ ومعوذ ابني عفراء وابن مسعود فقال: فيحتمل أن يكون معاذ بن عفراء شدَّ عليه مع معاذ بن عمرو، كما في الصحيح وضربه بعد ذلك معوذ حتى أثبته، ثم حز رأسه ابن مسعود فتجمع الأقوال كلها [٥].

عباد الله: إن الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا وكان من بين هؤلاء الذي رفع الله شأنه وأعلى قدره: عبد الله بن مسعود الذي كان ملازمًا للحبيب ﷺ يأخذ منه القرآن غضًا طريًا حتى أصبح واحدًا من أفضل الصحابة في قراءة القرآن وعلومه، مما دعا النبي ﷺ أن يوصي أصحابه بأن يتعلموا القرآن وعلومه من عبد الله بن مسعود.

---

(١) السواد: السر.
(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٩).
(٣) أخرجه البخاري (٣٧٦٣)، ومسلم (٢٤٦٠).
(٤) أخرجه البخاري (٧/ ٣٩٦٢)، ومسلم (٣/ ١١٨/ ١٤٢٤).
(٥) «فتح الباري» (٧/ ٣٤٥).

فعن مسروق قال «ذُكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به - وسالم مولى أبي حذيفة وأُبَيٍّ بن كعب ومعاذ بن جبل»(١).

ولِمَ لا يكون ابن مسعود في تلك المكانة وهو الذي أَخذ القرآن من فم النبي ﷺ مباشَرَة وتعلمه من نبعه الصافي، ولك أن تتخيل معي أيها الأخ الكريم أنك تسمع القرآن من فم من أُنْزِلَ عليه القرآن ﷺ.

قال ابن مسعود رضي الله عنه «والله الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ولو أعلم أحدًا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»(٢).

وعن شقيق بن سلمة قال: «خطبنا ابن مسعود فقال: والله لقد أخذت من في - فم - رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم قال شقيق: فجلست في الحِلَق أسمع ما يقولون فما سمعت رادًّا يقول غير ذلك (٣).

عباد الله: ولقد كان القرآن يخرج من فم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه غضًّا طريًّا كما أُنْزِلَ، فعن عبد الله أن رسول الله ﷺ مرَّ بين أبي بكر وعمر، وعبد الله قائم يصلي فافتتح سورة النساء يسجلها - يقرؤها قراءة مفصلة - فقال ﷺ: «**مَنْ أحب أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أُمِّ عبد**» فأخذ عبد الله في الدعاء. فجعل رسول الله ﷺ يقول «سل تعط» فكان فيما سأل: اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد ونعيمًا لا ينفد ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنان الخلد. قال عمر: والله لأغدون على عبد الله ولأبشرنه بتأمين رسول الله على دعائه، فأتى عُمَرُ عبد الله

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٨)، ومسلم (٢٤٦٤).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٢).
(٣) أخرجه البخاري (٥٠٠٠)، ومسلم (٢٤٦٢).

يبشره فوجد أبا بكر خارجًا قد سبقه، فقال: إنك لسَبَّاقٌ بالخير [١].

عباد الله : ولقد أحب النبي ﷺ عبد الله بن مسعود حُبًّا شديدًا كان يزداد يومًا بعد يوم، وكان يقربه إليه لما يرى فيه من أمارات الذكاء والنجابة والأخلاق الرفيعة وحسن الاتباع. وفي مرة اشتاق الحبيب ﷺ أن يسمع القرآن من فم ابن مسعود رضي الله عنه ويا لها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها فعن عبد الله قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ علي القرآن**» قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «**إني أشتهي أن أسمعه من غيري**»، فقرأتُ عليه سورة «النساء» حتى بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[النساء:٤١] فغمزني برجله فإذا عيناه تذرفان»[٢].

اللهم اجعلنا من أهل القرآن واجعله حجة لنا لا حجة علينا، اللهم اجعلنا صالحين مصلحين غير خزايا ولا مفتونين، وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين أبي بكر وعمر، وعثمان، وعليّ، وعلى وسائر الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم أصلح الراعي والرعية إنك سميع الدعاء ، وقوموا إلى صلاتكم .

(١) قال الأرنؤوط: إسناد حسن: وهو في المسند (١/ ٤٤٥، ٤٥٤).
(٢) أخرجه مسلم (٨٠٠)، والبخاري (٤٠٤٩).

openkandil.com

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثانية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عباد الله: وتتعاقب الأيام والليالي ويأتي موقف عظيم يبين للناس مكانة عبد الله بن مسعود عند الله وعند رسول الله ﷺ.

فعن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكًا من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «**ممَ تضحكون؟**» قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: «**والذي نفسي بيده ، لهما أثقل في الميزان من أحد**»[1].

أي من جبل أُحد.

(١) رواه أحمد (١/ ٤٢٠ -٤٢١)، وهو صحيح بمجموع طرقه.

بل يشهد له النبي ﷺ بأنه من أهل الإيمان والتقوى. فعن ابن مسعود ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾[المائدة:٩٣] إلى آخر الآية. قال لي رسول الله ﷺ: «قيل لي: أنت منهم»[١].

بل قال الحبيب ﷺ ذات مرة لأصحابه: «**اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود**»[٢]. فكانت وصية عظيمة لأصحابه علموا من خلالها قدر ابن مسعود ومكانته ومنزلته السامقة.

ولِمَ لا؟ ولقد كان ابن مسعود ﷺ يتابع النبي ﷺ ويأخذ عنه القرآن حتى آخر يوم في حياته فعلم كل شي عن القرآن وتفوق على غيره من الصحابة ﷺ في القرآن وعلومه ؛ فعن أبي ظبيان قال: قال لنا ابن عباس: أي القراءتين تقرءون؟ قلنا: قراءة عبد الله قال: إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن في كل عام مرة، وإنه عرض عليه في العام الذي قبض فيه مرتين فشهد عبد الله ما نسخ[٣].

وأما عن جهاد عبد الله بن مسعود ﷺ وقصة مقتل أبي جهل فقد ظل ابن مسعود ﷺ ملازمًا للحبيب ﷺ ثابتًا على دينه وإيمانه، تاليًا لكتاب ربه، حافظًا لسنة حبيبه ﷺ إلى أن جاء اليوم الذي أظلمت فيه المدينة كلها بموت النبي ﷺ فحزن عليه ابن مسعود حزنًا شديدًا، فقد كان ﷺ حبيبه ورسوله ومعلمه وأستاذه، فقد كل ذلك في لحظة واحدة، وبعد وفاة النبي ﷺ كان أصحابه ﷺ يعلمون قدر ابن مسعود ﷺ ويعرفون مكانته ومنزلته.

وفي عهد أمير المؤمنين عمر ﷺ كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة: إنني قد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥٩).

(٢) رواه الترمذي (٣٨١٠)، وابن ماجه (٩٧)، والحاكم (٣/ ٧٥)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه النسائي في فضائل الصحابة (١٥٤)، وفي الكبرى (٥/ ٧١، ٧٢)، وقال العدوي: إسناد صحيح.

بعثت إليكم عمارًا أميرًا، وابن مسعود معلمًا ووزيرًا، وهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر، فاسمعوا لهما واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي [١].

ولقد أحبه أهل الكوفة حبًّا جمًّا لم يظفر به أحد قبله ولا بعده. أما خوف عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه وخشيته وبكاؤه فعن مسروق قال: قال رجل عند عبد الله: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحب إليَّ فقال عبد الله لكن ها هنا رجل ود إنه إذا مات لا يبعث. يعني: نفسه. وعن الحسن قال: قال عبد الله ابن مسعود: لو وقفت بين الجنة والنار، فقيل لي: اختر نُخَيِّرك من أيهما تكون أحب إليك أو تكون رمادًا؟ لأحببت أن أكون رمادًا.

وعن أبي وائل قال: قال عبد الله: وددت أن الله غفر لي ذنبًا من ذنوبي وأنه لا يُعْرَفُ نسبي [٢].

وعن عون بن عبد الله، عن أخيه عبيد الله قال: كان عبد الله إذا هدأت العيون قام فسمعت له دويًا كدوي النحل [٣].

أما عن تواضع عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه فعن حبيب بن أبي ثابت قال: خرج ابن مسعود ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم ألكم حاجة؟ قالوا: لا، ولكن أردنا أن نمشي معك. قال: ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع. وعن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله: لو تعلمون ما أعلم من نفسي لحثيتم على رأسي التراب [٤].

وأما توقير عبد الله بن مسعود رضي الله عنه للنبي حيًّا وميتًا فلقد كان رضي الله عنه يحب النبي ﷺ حبًّا جمًّا ويوقره ويخاف أن يحدِّث بحديثٍ واحدٍ يزيد فيه كلمة أو ينقص منه حرفًا.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٨٢)، والحاكم (٣/ ٣٨٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.
(٢) صفة الصفوة (١/ ١٦٧).
(٣) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٤٨)، وابن سعد (٣/ ١/ ١١٠).
(٤) «صفة الصفوة» (١/ ٦٨)

عن مسروق قال: [حدثنا عبد الله يومًا فقال: قال رسول الله ﷺ فرعد حتى رعُدت ثيابه ثم قال: نحو ذا أو شبيهًا بذا [١]، يقول عمرو بن ميمون: اختلفتُ إلى عبد الله بن مسعود سَنة، ما سمعته يحدث فيها عن رسول الله ﷺ إلا أنه حَدَّثَ ذات يوم بحديث فجرى على لسانه: قال رسول الله، فعلاه الكرب حتى رأيت العَرقَ يتحدر عن جبهته ثم قال مستدركًا: قريبًا من هذا قال الرسول] .

ويقول علقمة بن قيس: [كان عبد الله بن مسعود يقوم عشية كل خميس مُتَحَدثًا، فما سمعته في عشية منها يقول: قال رسول الله غير مرة واحدة؛ فنظرت إليه وهو معتمدًا على عصًى، فإذا عصاه ترتجف وتتزعزع] ، وأما عن إيثاره ثواب الآخرة على شهوات النفس فعن الأحوص الجشمي قال: دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون له، ثلاثة غلمان، كأنهم الدنانير حُسنًا فجعلنا نتعجب من حسنهم فقال لنا كأنكم تغبطوني بهم قلنا: والله أي والله بمثلٍ هؤلاء يغبط المرء المسلم. فرفع رأسه إلى سقف بيت له صغير، قد عشش فيه خُطاف وباض، فقال: والذي نفسي بيده لأن أكون قد نفضت يدي عن تراب قبورهم أحب إلي أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه.

وعن قيس بن جبير قال: قال عبد الله: حبذا المكروهات الموت والفقر وأيم الله إن هو إلا الغنى والفقر، وما أبالي بأيهما بليت، إن حق الله في كل واحد منهما واجب وإن كان الغنى إن فيه للعطف -على المساكين - وإن كان الفقر إن فيه للصبر [٢].

وأما عن مكانة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومنزلته في قلوب الصحابة رضي الله عنهم فعن زيد بن وهب قال: إني لجالس مع عمر بن الخطاب، إذ جاء ابن مسعود، فكاد الجلوس يوارونه من قصره، فضحك عمر حين رآه فجعل عمر يكلمه، ويتهلل وجهه، ويضاحكه وهو قائم عليه، ثم ولَّى فأتبعه عمر بصره حتى توارى ، فقال:

---

(١) قال الأرنؤوط : رجاله ثقات : أخرجه أحمد (١/ ٤٢٣) وابن سعد (٣/ ١/ ١١١).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ١٦٨).

كنيف مليء علمًا [١].

وفي رواية: فقال: كنيف مليء فقهًا [٢].

بل تأمل معي أخي الكريم هذا المشهد المهيب عن الشعبي قال: ذكروا أن عمر ابن الخطاب لقي ركبًا في سفر لهم فيهم عبد الله بن مسعود فأمر عمر رجلًا يناديهم: من أين القوم؟، فأجابه عبد الله: أقبلنا من الفج العميق: فقال عمر: أين تريدون؟ فقال عبد الله: البيت العتيق: فقال عمر: إن فيهم عالمًا، وأمر رجلًا فناداهم: أي القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥] حتى ختم الآية قال: نادهم: أي: القرآن أحكم؟ فقال ابن مسعود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾[النحل:٩٠]. الآية فقال: عمر فنادهم، أي القرآن أجمع؟ فقال ابن مسعود ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة:٧، ٨]، فقال عمر: فنادهم أي القرآن أخوف؟ فقال ابن مسعود: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[النساء:١٢٣] الآية فقال عمر: نادهم أي القرآن أرجى؟ فقال ابن مسعود: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٥٣] فقال عمر: نادهم: أفيكم ابن مسعود؟ قالوا: اللهم نعم [٣] قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) الكنيف: الوعاء.

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٣١٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) صفة الصفوة (١/ ١٦٥).

الحمد لله حمد الشاكرين نحمده سبحانه وتعالى ونستعينه ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد،،

عباد الله: ما زال حديثنا حول مكانة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قلوب الصحابة فعن حَبَّة بن جُوَين قال: لما قدم عليٌّ الكوفة، أتاه نفر من أصحاب عبد الله، فسألهم عنه حتى رأوا أنه يمتحنهم؛ فقال: وأنا أقول فيه مثل الذي قالوا وأفضل، قرأ القرآن وأحل حلاله، وحرَّم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنة [١].

وعن أبي الأحوص قال: أتينا أبا موسى فوجدت عنده عبد الله وأبا مسعود، وهم ينظرون في مصحف فتحدثنا ساعة، ثم راح عبد الله، فقال أبو مسعود: لا والله، لا أعلم رسول الله ترك أحدًا أعلم بكتاب الله من هذا القائم يقصد ابن مسعود [٢].

وعن تميم بن حذلم، قال: جالست أصحاب النبي ﷺ أبا بكر وعمر، وما رأيت أحدًا زاهدًا في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أحب إلي أن أكون في مسلاخه منك يا عبد الله بن مسعود.

وعن مسروق قال: شامت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم انتهي إلى ستة نفر منهم: عمر، وعلي، وعبد الله، وأُبي بن كعب، وأبي الدرداء، وزيد بن ثابت، ثم شامت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين: علي ، وعبد الله بن مسعود.

وعن أبي إسحق قال: سمعت أبا الأحوص قال: «شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين مات ابن مسعود فقال أحدهما لصاحبه: أتراه ترك بعده مثله؟ فقال: إن قلت ذاك إن كان لَيُؤْذَنُ له إذا حُجِبْنَا ويشهد إذا غِبْنَا [٣].

عباد الله: ولا يتعجب أحدنا -بعد تلك المناقب- أن يجد ينابيع الحكمة تجري على لسان ابن مسعود رضي الله عنه ولذا فإنني أهدي إليكم تلك الباقة العطرة من مواعظه

---

(١) قال الأرنؤوط: سند حسن: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١/ ١١٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٦١/ ١١٣).
(٣) أخرجه مسلم (٢٤٦١).

وكلامه النفيس.

عن معن قال: قال عبد الله بن مسعود: «إن للقلوب شهوة وإقبالًا، وإن للقلوب فترة وإدبارًا فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها ودعوها عند فترتها وإدبارها».

وعن عون بن عبد الله قال: قال عبد الله: «ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية».

وعن منذر قال: جاء ناس من الدهاقين إلى عبد الله بن مسعود فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم فقال عبد الله: «إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسمًا وأمرضه قلبًا، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبًا وأمرضه جسمًا وايم الله لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان».

وعن عبد الله قال: «مع كل فرحة ترحة وما مليء بيت حبرة إلا مليء عبرة».

وعن الضحاك بن مزاحم قال: قال عبد الله: «ما منكم إلا ضيف وماله عارية، فالضيف مرتحل والعارية مؤداة إلى أهلها [1].

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، علمني كلمات جوامع نوافع ، فقال له عبد الله: لا تشرك بالله شيئًا وزُل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيدًا بغيضًا ، ومن جاءك بالباطل فارددْه عليه، وإن كان حبيبًا قريبًا. وقال عبد الله: « الحق ثقيل مريء، والباطل خفيف وبيء، ورب شهوة تورث حزنًا طويلًا».

وعن عنبس بن عقبة قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «والله الذي لا إله إلا هو، ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان».

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن بهلاكها».

وعن أبي عبيدة قال: قال عبد الله: «من استطاع منكم أن يجعل كنزه في السماء

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ١٧٢).

حيث لا تأكله السوس ولا يناله السراق فليفعل، فإن قلب الرجل مع كنزه».

وعن القاسم قال: قال رجل لعبد الله: أوصني يا أبا عبد الرحمن. قال: «ليسعك بيتك، وأكفف لسانك، وأبك على ذكر خطيئتك».

وعن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال: أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهادًا من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا أفضل منكم. قيل له: بأي شيء؟ قال: إنهم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم.

وعن زاذان عن عبد الله بن مسعود قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له: أد أمانتك. فيقول: من أين يا رب وقد ذهبت الدنيا؟، فتمثل على هيئتها يوم أخذها في قعر جهنم، فينزل فيأخذها فيضعها على عاتقه فيصعد بها حتى إذا ظن أنه خارج بها هوت وهوى في إثرها أبد الآبدين [1].

وعن أبي الأحوص عن عبد الله قال: لا يقلدن أحدكم دينه رجلًا فإن آمن آمن وإن كفر كفر، وإن كنتم لابد مقتدين فاقتدوا بالميت فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله: لا تكونن إمعة. قالوا: وما الإمعة؟ قال: يقول أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت وإن ضلوا ضللت. ألا ليوطِن أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر.

وعن سليمان بن مهران قال: بينما ابن مسعود يومًا معه نفر من أصحابه إذ مر أعرابي فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ فقال ابن مسعود: على ميراث محمد ﷺ يقتسمونه [2].

وعن هُذيل بن شُريح عن عبد الله قال: من أراد الآخرة أضر بالدنيا ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة يا قوم فأضرُّوا بالفاني للباقي [3].

وعن عبد الرحمن بن حجيرة أن ابن مسعود ﷺ كان يقول إذا قعد: إنكم في

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ١٧٣).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ١٧٤).

(٣) قال الأرنؤوط: رجال ثقات، نقلًا من «السير للذهبي» (١/ ٤٩٦).

ممر الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة من زرع خيرًا يوشك أن يحصد رغبة ومن زرع شرًا يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يُسبقُ بطيءٌ بحظه، ولا يُدرك حريص ما لم يُقدَّر له، فمن أعطي خيرًا فالله أعطاه ومن وُقي شرًا فالله وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة. وعن عبد الله قال: ارض بما قسم الله تكن من أغنى الناس، واجتنب المحارم تكن من أورع الناس، وأد ما افترض عليك تكن من أعبد الناس [1].

عباد الله: وبعد حياة مليئة بالعلم والخشية والجهاد والبذل والتضحية والرحمة والتواضع نام ابن مسعود رضي الله عنه على فراش الموت فقد آن الأوان ليلحق بحبيبه ﷺ الذي لطالما ملأ عليه قلبه ولطالما تعلم على يديه.

وبينما هو رضي الله عنه على فراش الموت، وإذا بعثمان بن عفان رضي الله عنه يأتي إليه يعوده - يزوره في مرضه- فعن أبي ظبية قال: مرض عبد الله، فعاده عثمان، وقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيبُ أمرضني، قال: ألا أمر لك بعطاء؟ ، قال: لا حاجة لي فيه [2].

ومات ابن مسعود بالمدينة ودفن بالبقيع ليلحق بأحبابه فرضي الله عنه وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم ألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، وارضَ اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعلى سائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم أصلح الراعي والرعية، اللهم انصر الإسلام والمسلمين واخذل الكفرة من الصليبين وسائر أعداء الدين، اللهم زلزل الأرض من تحت أقدامهم واجعلهم غنيمة للإسلام والمسلمين، وأقم الصلاة.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١/ ٤٩٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١/ ٤٩٧).

ثابت بن قيس رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: ها نحن اليوم على موعد مع رجل كريم وصحابي جليل شرفه النبي ﷺ وكرمه أيما تكريم فقال له: «أما ترضى أن تعيش حميدًا وتُقتل شهيدًا وتدخل الجنة»، ويا لها والله من كلمات جمعت لهذا الصحابي الجليل خيري الدنيا والآخرة، ولم لا يكون له ذلك؟ وهو الذي خاف على نفسه أن يكون من أهل النار بمجرد أن علا صوته فوق صوت رسول الله ﷺ.

إننا على موعد مع ثابت بن قيس رضي الله عنه يا لها من ثلة فازت ورب الكعبة بكل المكارم لقد عَلِم الكثيرون من أصحاب النبي ﷺ وهو ما زال حيًّا يُرْزَقُ أنه من أهل الجنة!! .

وثابت بن قيس رضي الله عنه سيد من سادات الخزرج وكان من نُجباء أصحاب محمد ﷺ وكان خطيبًا للأنصار. فقد كان حسان بن ثابت شاعرًا للرسول ﷺ وكان ثابت بن قيس خطيبًا له ﷺ وذلك بعد إسلامه.

كان ثابت جهير الصوت، خطيبًا، شاعرًا، كاتبًا، مُفوهًا، فصيحًا، عليمًا بمقامات الكلام، قَوَّامًا بالكلمة الفاضلة، حباه الله عز وجل لسانًا قئولاً وقلبًا عقولاً، ولسانًا بليغًا، يدرك ما يقول في مواقف الكلام، ويعرف مكان المقاتل في ضرب الحُسَام فلقد خاض عددًا من المعارك في الجاهلية، التي كانت دائرة بين قومه الخزرج وبين الأوس، وكان آخرها يوم بُعاث، حيث شارك بلسانه وسنانه في تلكم المعارك، ولكن الله عز وجل أكرم الأوس والخزرج، ووحدهم تحت كلمة الأنصار، فكانوا أنصارًا لرسول الله ﷺ ومؤيدين خُلَّص، ومؤمنين أكارم[1].

عباد الله: كان رسول الله ﷺ قد أرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة يقرئ أهلها القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين.

ونزل مصعب بن عمير بالمدينة على أسعد بن زرارة من بني النجار فأقام عنده، وكان أسعد من النفر الخزرجيين الذين أسلموا يوم عرض الرسول ﷺ دعوته، ومن الذين حضروا بيعة العقبة الأولى والثانية، وكان مصعب بن عمير مثال الداعية اللبق الفطن، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد حباه الله تعالى الحلم والصبر والأناة، فاستطاع أن ينشر الإسلام في المدينة، وذات يوم سمع ثابت بن قيس بالداعية المكي الذي ينزل بدار أسعد بن زرارة الخزرجي، وما كاد يستمع إلى القرآن الكريم يرتله مصعب بن عمير حتى أصغى إليه بسمعه وقلبه، فأَسَرَت معاني القرآن وروعته لُبَّه وفؤاده وما لبث أن شرح الله صدره للإيمان، فانطلق ينطق بالشهادة، وانضوى تحت لواء الإسلام كما أسلمت أمه «كبشة بنت واقد» وكانت ذات عقل وافر، وحكمة وروية.

---

(١) «فرسان من عصر النبوة» (٥٦٦).

كما أسلمت حبيبة بنت سهل فتزوجها ثابت بن قيس[١] ﷺ وحين قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجرًا وآخى بين المهاجرين والأنصار كان نصيب ثابت بن قيس في المؤاخاة « عامر بن أبي البكير»[٢].

عباد الله: وكان ثابت بن قيس خطيبًا بليغًا جهير الصوت إذا خطب وقع كلامه في القلب مباشرة بلا تردد ولا تلعثم فلما شرح الله صدره للإسلام في بادئ الأمر وعلم بقدوم النبي ﷺ إلى المدينة قام يستقبل الحبيب ﷺ مع باقة عطرة من فرسان قومه.

عن أنس ﷺ قال: خطب ثابت بن قيس مَقْدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، فقال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا، فما لنا؟ قال: الجنة. قالوا: رضينا[٣]. فأثلجت تلك الكلمة قلوب الأنصار وشرحت صدورهم.

ولم لا؟ وقد وعدهم الحبيب ﷺ بالجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومنذ ذلك اليوم وأصبح ثابت بن قيس خطيب رسول الله ﷺ فكان إذا جاءت الوفود بخطبائها وشعرائها قام لهم ثابت بن قيس لمنازلة الخطباء. فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حُجراته.

أن اخرج إلينا يا محمد، فآذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد جئناك نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا. قال: «قد أذِنْتُ لخطيبكم فليقل» فقام عطارد بن حاجب، فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل [والمن] وهو أهله، الذي جعلنا ملوكًا، ووهب لنا أموالًا عظامًا، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددًا، وأيسره عُدَّةً، فمن مثلنا من الناس؟ ألسنا رؤوس الناس وأولي فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدِّد مثل ما عدَّدنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نُعْرَفُ بذلك.

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٨/ ٤٤٥).

(٢) عامر بن أبي البكير صحابي جليل شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ واستشهد عامر في يوم اليمامة سير أعلام النبلاء (١/ ١٨٧).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٤) وصححه، وقوَّاه الذهبي.

أقول هذا: لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس. فقال رسول الله لثابت بن قيس بن الشماش، أخي بني الحارث بن الخزرج «قم، فأجب الرجل في خطبته «فقام ثابت، فقال: الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهنَّ أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يكن شيء قطّ إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكًا، واصطفى من خير خلقه رسولًا أكرمه نسبًا وأصدقه حديثًا وأفضله حسبًا، فأنزل عليه كتابه وأتمه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس حسبًا وأحسن الناس وجوهًا. وخير الناس فعالًا. ثم كان أول الخلق إجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبدًا وكان قتله علينا يسيرًا، أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات. والسلام عليكم»[1].

فيا لها من كلمات تنقش على صفحات القلوب بمداد من النور.

عباد الله: ولقد كان ثابت رضي الله عنه يحمل قلبًا خاشعًا مخبتًا وكان يتحلى بالخشية والخوف مما يُغضب الله عز وجل وإذا به في يوم من الأيام يقول للحبيب ﷺ: يا رسول الله إني أخشى أن أكون قد هلكت، ينهانا الله أن نحب أن نُحمد بما لا نفعل، وأجدني أحبُّ الحمد، وينهانا الله عن الخيلاء، وأني امرؤ أحب الجمال، وينهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا رجل رفيع الصوت، فقال: «**يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة؟!**».

فيا لها من بشرى لا تقوم لها الدنيا بكل ما فيها. إنها سعادة الدنيا والآخرة: يعيش حميدًا ويقتل شهيدًا ويدخل الجنة.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه الطبراني في «التاريخ» (٢/ ١٨٨ - ١٩٠).

الحمد لله الواحد الأحد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد، والذي لا شريك له في الملك أحد، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

عباد الله: لقد شهد ثابت بن قيس ﷺ المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ سوى بدر ولقد علمنا أن الحبيب ﷺ بشره بالشهادة في سبيل الله بل وبشره بأنه من أهل الجنة ويوم قريظة كان لثابت بن قيس ﷺ قصة طريفة مع أحد اليهود والذين وقعوا في الأسر. وحكم عليهم بالإعدام، وهو الزبير بن باطا اليهودي، وكان الزبير قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية في يوم بعاث أخذه فجز ناصية، ثم خلي سبيله فجاءه ثابت يوم قريظة، وهو شيخ كبير، فقال: يا أبا عبد الرحمن -كنية الزبير-: هل تعرفني؟ .

قال الزبير: وهل يجهل مثلي مثلك؟ .

قال ثابت: إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي يوم بعاث.

قال: إن الكريم يجزي الكريم يا أبا محمد كنية ثابت-.

ثم إن ثابت بن قيس أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هب لي الزبير، فإن له علي منة، وأحببت أجزيه بها، فقال رسول الله ﷺ: «هو لك»، فأتى ثابت الزبير وقال له: إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك فهو لك.

قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟!.

فأتى ثابت رسول الله ﷺ فاستوهبه أهله وولده فقال ﷺ لثابت: «هم لك».

فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد أعطاني امرأتك وولدك فهم لك.

قال الزبير: أهل بيت الحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم؟!.

فأتى ثابت ﷺ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول... ماله! .

قال ﷺ: «هو لك».

فأتاه ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أعطاني ما لك فهو لك.

قال الزبير بن باطا اليهود: أي ثابت! ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية تترآى فيها عذارى الحي. كعب بن أسد - ملك اليهود -؟.

قال ثابت: قتل مع من قتل.

قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟.

قال ثابت: قتل.

قال: فما فعل مقدمنا إذا شددنا وحامينا إذا كررنا عزال بن شمويل؟.

قال: قتل.

فقال: فما فعل المجلسان - يعني: بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة؟

قال ثابت رضي الله عنه ذهبوا وقتلوا وفرغ منهم، ولعل الله عز وجل أن يهديك.

فقال الزبير: أسألك بالله وبيدي عندك يا ثابت إلا ما ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر لله فتلة دلو نضح حتى ألقى الأحبة.

فذكر ثابت رضي الله عنه لرسول الله ﷺ مقالة الزبير بن باطا، فأمر به، فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه قول الزبير: ألقى الأحبة، قال رضي الله عنه يلقاهم والله في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا [1].

وهنا أنشد ثابت بن قيس رضي الله عنه في تلك الحادثة يذكر الزبير بن باطا اليهود، فقال:

وَفَّـــت ذمتـي أني كـريـم وأنني ∴ صبورًا إذا ما القوم حادوا عن الصبر
وكـــان زبـير أعـظـم الـنـاس منَّة ∴ عـلي فـلـما شـد كـوعـاه بـالأسر
أتـيـت رســول الله كـيـما أفكه ∴ وكان رسول الله بحرًا لنا يجري [2]

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ١٠٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي ص٣١٦) مع الجمع والتصرف.

(٢) تاريخ الطبري (٢/ ١٠٢).

أما عن موقفه النبيل في بني المصطلق عن عائشة أم المؤمنين قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بن المصطلق وقعت جويرية بن الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له وكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعين في كتابتها قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت فدخلتْ عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعين على كتابتي. قال: «فهل لك في خير من ذلك؟» قالت: وما هو يا رسول الله: «أقضي كتابتك وأتزوجك؟!» قالت: نعم يا رسول الله. قالَ: «قد فعلت». قالتْ: وخرج الخبر إلى الناس إن رسول الله تزوج جويرية بنت الحارث فقال الناس: أصهار رسول الله فأرسلوا ما بأيديهم. قالت: فلقد أعتق بتزوجه إياها منه أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها[1].

وقد حدث هذا بعد أن قال ثابت بن قيس للنبي ﷺ هي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فياله من موقف نبيل لا ينسى أبدًا.

عباد الله: فما زال ثابت يبحث عن الشهادة ففي كل غزوة غزاها يقول في نفسه: لعلي أنال الشهادة هنا، وظل هكذا يتلهف شوقًا لهذا اليوم الذي يلقى الله فيه شهيدًا في سبيل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله). إلى أن جاءت حروب الردة التي كانت الدولة فيها في أكثر المعارك لمُسلَيمة الكذاب حتى وصل الأمر أن اقتحموا فسطاط □خيمة□ خالد بن الوليد وهموا بقتل زوجته أم تميم. وكان ثابت بن قيس وقتها هو حامل لواء الأنصار. فلما رأى الضعف والوهن قد دب في صفوف المسلمين قام فقال: أُفٍّ لهؤلاء وما يعبدون أُفٍّ لهؤلاء وما يصنعون، يا معشر الأنصار خلوا سَنني لعلي أصلى بحرها ساعة، ورجل قائم على ثُلْمَةٍ، فقتله وقُتِلَ. وعن أنس قال:

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٧٧)، وأبو داود (٣٩٣١) وإسناده صحيح.

جثته وهو يتحنط فقلت: ألا ترى؟ ، فقال: الآن يا ابن أخي ثم أقبل فقال: هكذا عن وجوهنا نقارع القوم بئس ما عوَّدتم أقرانكم، ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ فقاتل حتى قُتِلَ[1].

وعن أنس: أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة، وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين فكفن فيهما وقد أنهزم القوم فقال: اللهم إني أبراء إليك مما جاء به هؤلاء وأعتذر من صنيع هؤلاء بئس ما عودتم أقرانكم، خلوا بيننا وبينهم ساعة، فحمل فقاتل حتى قتل[2]. وخر البطل صريعًا على أرض الشرف والجهاد، وقد نال الشهادة التي طالما كان يتمناها والتي بشره بها حبيبه ﷺ وأسلم البطل نفسه ليكون في حواصل طير خضر تأوي إلى تلك القناديل المعلقة عند عرش الرحمن وليسرح في أنهار الجنة وليكون من تلك الثلة المؤمنة: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء:٦٩].

عباد الله: لقد نال ثابت الشهادة في سبيل الله بعد أن ترك أثرًا حميدًا لمن بعده، وفتح ثغرة في صفوف العدو، استطاع فرسان المسلمين من خلالها أن ينفذوا إلى قلب الأعداء وينتصروا عليهم.

اللهم انصر الإسلام وأهله واخذل الشرك وأهله، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعلي سائر الصحابة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم أصلح الراعي والرعية، اللهم عليك بالصليبيين وسائر المشركين، اللهم مزق جمعهم وفرق شملهم واجعلهم وما يملكون غنيمة للإسلام والمسلمين، اللهم ول أمورنا خيارنا ولا توليها شرارنا يا أرحم الراحمين، وقوموا إلى صلاتكم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٥) الجهاد

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٤-٢٣٥) وصححه ووافقه الذهبي